الجزء التاسع

«فى إيطاليا... يصبح المرء فردًا روحيا ويتعرف على نفسه»

- جاكوب بوركهارت.

«القرن الخامس عشر فى فرنسا والأراضى الواطئة ما يزال من قرون العصور الوسطى قلبا... ولكن كافة هذه الأشكال والصياغات كانت فى سبيلها للزوال... إن المد يتحول ونغمة الحياة توشك أن تتبدل...»

- يوهان هويزنجا

نهاية وبداية

القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر

الفصل الثانى والعشرون

بين عالمين

١ - «الخريف» و «النهضة»:

عرفت الفترة التى تمتد ما بين الربع الثانى من القرن الرابع عشر حتى أواخر القرن الخامس عشر بالعصور الوسطى المتأخرة، كما عرفت باسم عصر النهضة أيضا. وكان المصطلح الأخير شائعا للغاية بين المؤرخين فى أواخر القرن التاسع عشر، ولم يواجه أى تحد حتى أربعين سنة خلت. هذه الرأى عن الفترة ما بين سنة ١٣٢٥ وسنة ١٥٠٠ كان محكوما بكتاب واحد هو كتاب جاكوب بوركهارت «حضارة النهضة فى إيطاليا» الذى نشر سنة ١٨٦٠م. فقد كان بوركهارت نفسه اعادة تجسيد لحركة النهضة Der Renaissancemensch التى أعجب بها كثيرا، لأنه كان حضريا، صاحب ذوق جمالى، عارفا بمعظم ميادين الثقافة الراقية دون ان يتشبث اطلاقا بأى منها. كان هذا الرجل الذى هو من سلالة الأرستقراطية فى باسل Basl يقدر الفردية، والتعبير الحر، وتطور العقل، ويعلى من شأنها فوق كافة القيم، فظن أنه رأى فى ايطاليا القرنين الرابع عشر والخامس عشر المكان والزمان اللذين شهدا تحرر الفردية من أغلال حضارة العصور الوسطى التى كانت نتاجا لخضوع الفرد للجماعة والكل. ويقول بوركهارت أن المدن الدول City-States الايطالية خلقت نوعا جديدًا من الصفوة الاجتماعية التى كان أفرادها يفكرون فى ذواتهم باعتبارهم أفرادًا، وليس باعتبارهم أعضاء فى مجموعة جامعة. لقد وجد الإيطاليون فى الناس فى العالم القديم أرواحا شبيهة بأرواحهم، لأنهم كانوا نتاج نفس الحياة الحضرية المتحضرة، كما أنهم استخدموا التراث الكلاسيكى كمرشد لهم إلى معرفة العوالم المادية والفكرية، مما تمثلت نتيجته فى أنهم تخلوا عن النظرة «الخيالية» «والطفولية» التى عرفتها أوربا العصور الوسطى و «أعادوا أكتشاف الإنسان والعالم». ولم يكن تفسير بوركهارت مبتكرًا تماما؛ إذ أن جزءا من مفهومه عن تاريخ القرنين الرابع عشر والخامس يمكن أن نجده فى كتابات الرومانسى

الفرنسى جوليه ميشيليه Jules Michelet الذى عاش فى مطلع القرن التاسع عشر، وفى كتابات الانسانيين الايطاليين أنفسهم بطبيعة الحال. ذلك أن المفكر الايطالى الكبير بترارك، الذى عاش فى القرن الرابع عشر، كان مدركا تماما للفاصل الثقافى بين زمانه وبين «العصور المظلمة».

كان تفسير بوركهارت موضوعا لمجادلات ومناقشات واسعة وحامية بين المؤرخين على مدى سنوات طوال؛ ومضى وقت كانت فيه الجمعية التاريخية الأمريكية تضع فى جدول أعمالها للاجتماع السنوى جلسة موضوعها «النهضة - هل كانت أم لم تكن؟» وكان المتخصصون فى تاريخ العصور الوسطى حساسين تجاه الاحتقار المزرى الذى كان مؤرخو عصر النهضة يبدونه تجاه العصور الوسطى، وكان بهم شغف إلى ايضاح أن الفترة العظمى فى الأنجاز الثقافى جاءت فى القرن الثانى عشر وليس فى القرن الرابع عشر، وأن العصور الوسطى المتأخرة، وهى أبعد من أن تكون فترة بعث وأحياء، كانت فترة من التفكك والفوضى، والظلام، والفشل. وكان أعظم نقاد بوركهارت هو المؤرخ وعالم الاجتماع الهولندى يوهان هويزنجا Huizinga، الذى كان يشبه بوركهارت من حيث كونه صاحب أسلوب حيوى، ومن حيث ميله إلى بناء دراسته حول أنماط نموذجية مستمدة من سياق الفترة التاريخية. وكتاب هويزنجا «خريف العصور الوسطى» (الذى ترجم إلى الإنجليزية بعنوان Ahe Waning of the Middle Ages أى شحوب العصور الوسطى) لم يسترع الانتباه كثيرًا حين نشر للمرة الأولى فى عشرينيات القرن العشرين؛ إذ كان المؤرخون آنذاك واقعين تحت تأثير الوضعية تماما، ولم يكن بهم ميل إلى تقدير باحث يستخدم الآداب والفنون التشكيليه كبرهان باريخى، وبعد ربع قرن من نشر الكتاب فى أول مرة، لقى كتاب هويزنجا اعترافا واسع النطاق بصلاحية منهجة وتمكنه. وقد زعم هويزنجا أنه بفحص فرنسا والأراضى الواطئة فى القرن الرابع عشر لم يستطع أن يجد دليلا يؤيد رأى بوركهارت عن النهضة؛ بل أنه بدلا من ذلك وجد اليأس والهزيمة فى كل مكان. فرقصة الموت، على سبيل المثال، كانت عنصرًا شائعا للغاية فى الفن والأدب فى العصور الوسطى المتأخرة. وقد كشفت دراسة هويزنجا لبلاط برجنديا عن أن الأرستقراطية كانت تحيا حياة نمطية تماما تخلو من الفردية؛ والحقيقة أن بلاط برجنديا قد اشتهر باتباع تقاليد عفا عليها الزمن، وهى علامة أكيدة على التحجر الثقافى. بل أن هويزنجا يقول أن المذهب الطبيعى الذى حكم الفن فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر لا يدعم الرأى

الذى يزعم بأنه كانت هناك نهضة آنذاك. فالنزعة الطبيعية التى بدأت بجيوتو Giotto[1] عند نهاية القرن الثالث عشر فى ايطاليا، وبلغت أوجها فى الفن الفلمنكى فى أخريات القرن الخامس عشر، أنما هى فى الواقع من أعراض التحلل الثقافى – فالحقيقة أن المجتمع الأوربى بصفة عامة لم يعد يستطيع التمسك بالرموز.

وليس من الضرورى أن نتطرف فى الاتجاه المضاد لبوركهارت بحيث لا نعزى إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر أى قدر من الأصالة، مثلما فعل بعض المتخصصين فى العصور الوسطى، لكى نتفهم خطوط التطور فى تلك الفترة. ولا مهرب لنا من أن نعترف بالحقيقة الأولى القائلة بأن منطقة شمال الألب كانت تشهد حضارة قديمة تتمزق، ولم تكن تشهد حضارة جديدة صاعدة. إذ أن النغمة السائدة فى الحياة كانت نغمة يأس وخيبة أمل، ولم تكن نغمة إبداع وعزم على النجاح. وليس معنى هذا أن دلائل النجاح والأرادة والأبداع كانت غائبة، وإنما يعنى أنها كانت أقل أهمية من دلائل اليأس والخيبة. وتبدو ايطاليا كحالة خاصة، على الرغم من كونها حالة هامة للغاية، لأن اقتصادها ومؤسساتها السياسية مهدت لظهور نموذج الحضارة الحديثة. وفى المدن الايطالية استمر تطور المؤسسات الرأسمالية وتزايد الولاء للدولة مع هبوط طفيف فى القوة الدافعة. وفى مناطق شمال الألب كان الموقف جد مختلف. ففى فرنسا، وانجلترا، وألمانيا، والفلاندرز كانت حضارة العصور الوسطى تعانى سكرات الموت التى كانت هى نفسها آلام المخاض الذى سبق مولد العالم الحديث. وعموما فإن القرنين الرابع عشر والخامس عشر كانا

---

(١) هو جيوتو دى بوندون Giotto di Bondone (١٢٦٦ – ١٣٧٧)، وهو رسام ولد فى كول Cole بالقرب من فلورنسا التى عمل فيها وفى روما ونابولى وغيرها من المدن الايطالية. وفى سنة ١٣٣٠ عينه روبرت ملك نابولى عضوا فى بلاطه الملكى Familiaris regis ثم ترك بلاط نابولى فى سنة ١٣٣٤ حين قدمت له مدينة فلورنسا منصب المشرف على الأعمال الفنية. وكان يستلهم موضوعات الكتاب المقدس، واستخدمت هذه الرسوم فى تزيين العديد من الكنائس الايطالية، ولا سيما فى فلورنسا. وعينه البابا بونيفاس الثامن لكى يرسم صور كنيسة القديس بطرس فى روما. وكان جيوتو يرسم أيضا على الخشب واستحدث أسلوبا جديدا لحفظ الألوان على اللوحات الخشبية. وبدأ عصرا جديدا فى الرسم حين تخلى عن الأسلوب البيزنطى، وحاول أن يجذب الانتباه نحو تصوير أكثر واقعية للموضوعات الانسانية، مع التزامه بالمثل الفرنسسكانية. ولكى يحقق هذا استخدم الملامح المكانية، وكان أول من ينتج التأثيرات الفراغية، وهو أسلوب عرف به عصر النهضة. وكان مشهورًا جدًا فى زمانه لدرجة أن دانتى ذكر اسمه فى الكوميديا الآلهية.

(المترجم)

بمثابة عصر ينظر فى اتجاهين، مثلما كان فى الحال فى القرن الرابع.

ولا يقلل من قيمة بعض الأفكار والمواقف التى سادت فى مدن الشمال الايطالى - التى كانت تطلعا واستشرافا لآفاق العالم الحديث على الرغم من أنها لم تكن جديدة - أن نصف نموذج التطور العام فى أخريات العصور الوسطى بأنه تطور يتميز بالحرب، والعنف، والمرض، والتمرد الاجتماعى، فضلا عن القلاقل السياسية، والتعاسة والبؤس العام. فقد كشفت البحوث التى أجريت فى السنوات العشرين الأخيرة عن أن المتاعب الاقتصادية كانت هى سبب السخط والمرارة الواضحة فى العصور الوسطى المتأخرة. ففى انجلترا، وفرنسا، والمانيا كانت هناك حال من الانكماش والهبوط الطويل المدى منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر حتى ما بعد سنة ١٤٥٠ بقليل. كما أن منحنى السكان الذى كان يرتفع بإطراد منذ منتصف القرن العاشر، هبط فجأة عن مستواه، وربما يكون قد تدهور حتى قبل ذلك الوباء الكاسح الذى حمل فى طيانه أكثر من ربع سكان أوربا، وهو الوباء الأسود Black Death الذى اجتاح أوربا فى منتصف القرن الرابع عشر. إذ توقفت حركة بناء الضواحى الجديدة والأسوار الجديدة فى مدن أوربا، وربما كان حجم التجارة العالمية فى سنة ١٤٠٠ أقل منه فى سنة ١٣٠٠، على الأقل فى مناطق شمال الألب. ومن المؤكد أن الأرض قد صارت بورا فى انجلترا وألمانيا، كما أوضحت الدراسات الاحصائية. ويبدو أن هذا كان نتيجة إنهاك التربة والتدهور السكانى.

هذا التدهور الطويل المدى يفسر الحدة والقلق اللذين اعتريا الناس فى أوربا أواخر العصور الوسطى؛ فقد وجد السادة الاقطاعيون أن ايجاراتهم تتضاءل قيمتها، كذلك واجه البورجوازيون وقتا عصيبا. وإذا ما عرفنا النتائج المدمرة للهبوط الاقتصادى الكبير الذى حدث فى ثلاثينيات القرن العشرين، فلن يدهشنا أن الناس فى القرن الرابع عشر كانوا يلجأون إلى جميع الوسائل اليائسة لحل مشكلاتهم التى كانت أسبابها غامضة بالنسبة لهم، بقدر أكثر من غموض أسباب الانكماش الاقتصادى فى القرن العشرين بالنسبة لنا. فقد خانوا، وخلعوا الملوك عن عروشهم، واغتالوهم؛ واشتبكوا فى حروب وحشية ضد بعضهم البعض، وحاولوا الحصول على المساعدة الآلهية من خلال التجارب الصوفية أو عن طريق المذاهب الهرطقية؛ كما أنهم كانوا يحرقون السحرة. ولكن شيئا من هذا لم يكن ذا فائدة بالنسبة لهم.

لقد كان العالم على بداية طريق الشيخوخة فى عيون الناس فى العصور المتأخرة،

مثلما حدث مع الرومان فى القرنين الثالث والرابع. وبدت متاعب زمانهم وكأنها تمهيد لنهاية العالم، تمهيد للأشياء الأخيرة، تمهيد ليوم القيامة وقدوم المسيح لذبح المسيح الدجال. وكان العصر مناسبا لتكاثر المذاهب الصوفية، والأخروية، فضلا عن المذاهب الهرطقية. وتكلم بعض المؤرخين عن «نمو الروح العلمانية» فى القرن الرابع عشر. وهذا العصر يتميز حقا بتعزيز الثقافة الدنيوية، ولكنه كان أيضا عصرًا أستشرت فيه المذاهب الدينية فى أكثر أشكالها كثافة وتنوعا. إذ أن الناس فى العصور الوسطى عادوا إلى البحث عن ملاذ ومهرب من اخفاقهم وبؤسهم فى مجال الحكم والاقتصاد عن طريق اللجوء إلى مملكة الرب بداخلهم. وكان بهم شغف إلى سماع المعلمين الدينيين الجدد، كما كانوا تواقين إلى سماع الخطب والمواعظ الدينية العاطفية، فقد كان الفن الدينى يهزهم من الأعماق. وبقدر ما كان عنفهم وانشقاقهم فى كثير من العلاقات الاجتماعية؛ كانوا مخلصين ومبالغين فى علاقتهم بالرب، وهذه خاصية من خصائص عصر كان يحفل بالعذاب والغموض، عصر انتقال وتحول، وهو عصر أما تطرح فيه القيم والمثل العليا جانبا، وأما يلتزم الناس بها فى تعصب شديد.

أما الكنيسة فكانت بحاجة إلى رجل من طراز إنوسنت الثالث وآخر من طراز سان فرنسيس لكى يتحكما فى هذه الانبثاقات الجديدة لمشاعر التدين فى العصور الوسطى المتأخرة، ولكن الزعامة الكنسية كانت عاجزة عن أداء المهمة المطلوبة. ولم تكن هذه غلطة الكنيسة كلية. لأن البابوية كانت قد أسرت فى أفينون وتحولت إلى دمية بيد الملكية الفرنسية. وكانت النتيجة إنهيارًا سريعًا للنظام، إذ أخذ الصرح العظيم الذى كان انوسنت الثالث قد أقامه يتصدع باطراد ثم انهار تماما. وإذ أنهار المركز الحيوى حدث التدهور العام فى كافة جوانب الحياة. فقد تجاهل الكنسيون القيام بزياراتهم الرعوية، وأتيح للأساقفة أن يهتموا بمصالحهم الخاصة، وفى كثير من الأحيان لم يكن قساوسة الابرشيات يخضعون لأى أشراف؛ كما أن النظم الرهبانية فقدت حماستها وشهرتها، بما فى ذلك الفرنسسكان والدومينيكان. وحاول بعض المؤرخين أن يحطُّوا من شأن بابوية أفينون؛ فهناك من المؤرخين من يحاولون الحط من قيمة أى شىء. كانت بابوية أفينون مسيحا دجالا جاء ليحط على الكنيسة كالوباء؛ فقد كان بابوات أفينون اداريين مهرة، ولكنهم كانوا أيضا انانيين، وكانوا رجالا قصار النظر لم يكن يعنيهم شىء أكثر من ملء خزائنهم بعوائد الضرائب الكنسية، التى كان يتم تحصيلها عادة من خلال الصفقات المشبوهة مع الحكومات الملكية. ولكن ما هو أسوا من ذلك كان ما يزال مخبوءًا فى المستقبل. ففى سنة ١٣٧٨م عاد بعض الكرادلة إلى روما لينتخبوا بابا آخر، على حين استمرت بابوية

أفينون، وفى ذلك الحين كان الانشقاق العظيم فضيحة ووصمة عار فى جبين العالم المسيحى، وبذر الشك فى جميع الاتجاهات. لم ينته الانشقاق العظيم سوى فى مطلع القرن الخامس عشر باجراء اصلاحى تمت مناقشته طويلا من جانب رجال القانون الكنسى ونقاد سلطة البابوية المطلقة: فقد تم عقد مجمع كنسى عام لأنهاء الانشقاق واصلاح الكنيسة. وقد انهى مجمع كونستانس Gonstance (١٤١٤ - ١٤١٨م) الإنشقاق، ولكنه اخفق فى محاولة اصلاح الكنيسة؛ فما كاد المجمع يختار نائبا واحدًا للمسيح حتى أعاد هذا البابا تأكيد السلطة البابوية المطلقة. ذلك أن الامبراطور الألمانى دعا إلى مجمع كونى آخر تحت ضغط التوفيقيين، ولكن البابا طوقه فى سهولة، وكسب مساندة الملوك ضد الحركة التوفيقية لقاء اتفاقات تعترف بالشخصية الوطنية للكنائس الخاضعة لهم. وفى منتصف القرن الخامس عشر سقطت البابوية، بعد عودتها إلى روما، مرة أخرى فى براثن الأرستقراطية الرومانية التى حولت صاحب مفاتيح السموات إلى طاغية ايطالى من طغاة عصر النهضة. ولم يكن أسوأ من غيره من هذا الصنف، كما أنه لم يكن أفضل منهم.

هذه الفضائح والاخفاقات التى حاقت بالقيادة الكنسية أوجدت متنفسا لموجة جارفة من موجات العداء لرجال الكنيسة سرعان ما تحولت فى سهولة إلى حركة لمعاداة سلطة الكنيسة كما حدث فى القرن الثامن عشر. ولكن الهرطقة لم تعد تعتمد على المبشرين الفقراء الجوالين فى تحديد مذاهبها وتعريفها؛ ففى ذلك الحين كانت الهرطقة تجد أقدر من يتحدث باسمها من بين أفضل المفكرين فى الجامعات. وتفكك عالم الفكر الوسطى، الذى كان كتاب وليم الأوكامى هو بدايته، سار شوطا أبعد على يد من خلفوه. والفلسفة الأوكامية تكشف عن التاريخ الفكرى فى العصور الوسطى المتأخرة، ولا سيما فى انجلترا وفرنسا. ولا ينبغى أن نندهش حين نكتشف أن مارتن لوثر، الذى لم يكن راهبا بسيطا كما يعتبره البعض، قد أعلن أنه أوكامى. إذ أن التراث الفكرى لهذا الراهب الفرنسسكانى الكبير يعتمد كثيرا على ثقافة القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ويصل إلى اتجاهات كثيرة: مثل تدمير الفلسفة، ووضع العلم على بداية طريق الانطلاق، والألهام المستمد من التصوف والهرطقة.

والخاصية العقيمة لمدرسية القرن الخامس عشر كانت فى الأساس نتاجًا لمذاهب أوكام. إذ أن إصراره على أن المنطق هو الشكل الوحيد الصالح فى الفلسفة، وأنه ليست للميتافيزيقا واللاهوت العقلى أية صلاحية، كان هو السبب فى أن خلفاء «الاصطلاحيين»، أو الاسميين، كرسوا أنفسهم تماما للسلطة الغامضة المبهمة على

حين لم يمسوا المشكلات التى كانت تثير خيال الأذكياء وتسترعى انتباههم، إلا مسّاً هَيّناً، ولا غرو فى أن المدرسيين كانوا محط احتقار الانسانيين الذين تحولوا عن الجدل صوب أعمال أفلاطون ذات الطابع الأدبى لتكون لهم نبراسا يرشدهم ويهديهم.

ومع ذلك، فإنه بينما كانت استهانة الانسانيين بالمدرسيين، كحمقى تافهين، استهانة مبررة إلى حد كبير، فإن هجومهم على رجال المدارس (الجامعات) كان يشبه فى أحد جوانبه عجز الرجل العادى عن فهم رجل العلم وادراك قيمة استدلاله المنطقى الذى يبدو للرجل العادى أمرا غير عملى. فإن أوكام لم ينته إلى تقوقع كامل؛ وإنما كان يعتقد أن هناك أنواعا بعينها من المعرفة الانسانية يمكن التوصل إليها. وقد استبعد الميتافيزيقا، ولكنه أرسى الأسس المعرفية للعلم الحديث الذى كان سلفاه الفرنسسكان جروستست وروجر بيكون يعملان فى اتجاهه. وخلص أوكام إلى أنه بينما العلاقة بين الأشياء الفردية نتاج عقلى، فإن الأشياء الفردية نفسها موجودة بالفعل ويمكن معرفتها. ومن خلال معلومات حسية بسيطة يمكن للعقل البشرى أن يتعلم ادراك هذه الأشياء الفردية الثابتة فى الطبيعة، وهو الأمر الذى جعل العالم الفكرى لكل من جاليليو، وكوبر نيكوس، ونيوتن ممكنا. وقد اقترح عالم اوكسفورد الفرنسسكانى نفسه (أوكام) قانون القصور الذاتى، على الرغم من أنه لم يكن هناك من معاصريه من يفهم ما يقوله سوى مجموعة صغيرة فى كلية ميرتون Merton College فى أوكسفورد. وفى النصف الثانى من القرن الرابع عشر كانت المدرسة الأوكامية الباريسية، التى سار أفرادها على خطى معلمهم فى رفضه للميتافيزيقا، والاهتمام بملاحظة الأشياء وتحليلها، حتى تقدموا إلى بدايات الميكانيكا، والفيزياء، والهندسة التحليلية الحديثة. فقد اقترح نيقولاس الأورسمى Nicholas of Oresme[٢]، الذى كان أبرز أعضاء هذه المدرسة دوك شك، مبدأ

---

(٢) هو فيلسوف واقتصادى فرنسى (١٣٢٠ - ١٣٨٢). بعد أن أتم دراسته فى باريس شغل عدة مناصب كنسية، كان آخرها منصب أسقف ليزيه Lisieux (١٣٧٧). كما كان مستشارا للملك شارل الخامس. ومؤلفاته التى كتبها باللاتينية والفرنسية تتناول السياسة والاقتصاد والعلوم الطبيعية. وأشهر مؤلفاته مقالته عن العملة De L'origin,nature, et mutation des monnayes وقد كتب أيضا باللاتينية De Montete، وكان له تأثير كبير على النظريات الاقتصادية فى العصور الوسطى وكتابه عن السماء والعالم Livre du Ciel et du Monde عن حركات الكواكب توصل إلى بعض النظريات التى توصل إليها كوبرنيكوس فيما بعد.

الدوران اليومى للأرض قبل كوبرنيكوس، كما اكتشف قانون الأجسام الساقطة قبل جاليليو.

وهكذا كان تلاميذ أوكام يمتلكون كل الوسائل الفكرية التى تمكنهم من تحقيق انطلاقة علمية عظيمة مثلما حدث فى القرن السادس عشر والقرن السابع عشر. فلماذا لم يمضوا قدما فى عملهم؟ لماذا أضمحلت هذه الدراسات العلمية على هذا النحو الكلى فى القرن الخامس عشر لدرجة أن اكتشاف أعمال نيكولاس الأورسمى وزملائه استغرق جهدا جهيدا من العلماء والباحثين؟ تكمن الاجابات على هذه الأسئلة فى الخلفية الاجتماعية التى كان أولئك العلماء يعملون فى اطارها، فلم يكن هناك أحد فى القرن الخامس عشر، ولا حتى بين العلماء المدرسيين، يدرك القيمة التطبيقية والفائدة الاجتماعية لقانون الأجسام الساقطة. والرجال الذين واصلوا هذه الدراسات الجديدة كانوا يفعلون هذا فى ظل معرفتهم بطبيعة عصرهم؛ ولم يكن هناك أى تشجيع اجتماعى لهم. فلم تكن هناك كراسى خاصة بالعلوم فى الجامعات، وإنما كانت توجد كراسى عديدة للاهوت والمنطق؛ وكان من الأربح للعالم أن يشتغل فى مجال اللاهوت والمنطق بدلاً من أن يشتغل بالبحث العلمى الذى لم يكن يحظى بتقدير أحد؛ اللهم إلا دائرة ضيقة جدا من العلماء. وكان التغير فى التكنولوجيا العسكرية فى القرن السادس عشر هو الذى جعل من الميكانيكا علما ذا فائدة اجتماعية، كما شجع على احياء البحث العلمى. فقد كان استخدام بارود البنادق قد بدأ لتوه فى القرن الرابع عشر، وكان الأوربيون ما يزالون غير ماهرين ومبتدئين فى استخدامه. وبحلول القرن السادس عشر كانت الجيوش قد صارت ماهرة تماما فى اطلاق قذائف المدافع. لأن صياغة معادلة للقذائف الساقطة كانت مساهمة يدرك الناس مدى فائدتها التطبيقية.

والعامل الثانى فى إحباط الحركة العلمية الكبرى فى القرن الرابع عشر هو قصور المعلومات الرياضية، لاسيما فى علم الجبر. فقد كان مفكرو العصور الوسطى المتأخرة يعرفون أن العلوم الطبيعية تتطلب التحديد الكمى للظاهرة الطبيعية، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق هذا الهدف سوى بشكل جزئى. ويتمثل السبب الإضافى فى اجهاض الانطلاقة العلمية فى القرن الخامس عشر فى عداء الانسانيين للمدرسيين ورفضهم النظر الى ما تحت السطح لكشف ما هو قيم فى أعمال ألمع رجال المدارس. وكثيرون من الانسانيين فى إيطاليا تلقوا تعليمًا جامعيًا بالفعل، ولكنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن الأعمال التى تمت فى باريس واوكسفورد برغم قيمتها

العالية. وكان بين الانسانيين عند نهاية القرن الخامس عشر عدد من أبرز مفكرى وعلماء أوربا؛ ولكن عدم تعاطفهم مع الفكر الأكاديمى كان من العوامل المساعدة فى اخفاق الثقافة الأوربية فى تحقيق الانطلاق فى العلم حتى عندما كان أوكام وتلاميذه يمتلكون رؤية جيدة لهذا البعد الفكرى الجديد، وهو البعد الذى قيض له أن يميز الحضارة الأوربية تماما عن غيرها من الحضارات.

ومما يكشف عن تزايد التدين فى أوربا أواخر العصور الوسطى أن المجتمع لم يستمد من الأكامومية فهمها لإمكانية قياس الخصائص الكمية فى الطبيعة، وإنما استمد منها التشجيع على الاتجاه صوب الفردية الدينية. فقد كان أوكام قد بدأ بفرض يتعارض مع فروض ابن رشد الفلسفية تماما، ولكنه فى الحقيقة توصل إلى ذات النتيجة: وهى أن العقل لا يمكنه أن يرقى إلى الجلالة الالهية، ولا يمكنه أن يقول شيئا أكيدا فى المسائل اللاهوتية. وكان للأثر الناتج عن رفض الأوكامية للعقل كطريق لفهم الألوهية أن يؤكد التجربة الصوفية الفردية باعتبارها ركيزة للحقائق المستقاة من خلال الدين. وكتاب توماس آكمبيس Thonas à Kempis «تقليد المسيح»، بما فيه من نزعة غيبية ومعاداة للعقل، كان متوافقا مع تعاليم أوكام. كذلك فان كتاب «التعاليم الجاهلة»، الذى ألفه نيكولاس كوسا Nicholas of Cusa كان نتيجة حتمية للفلسفة الاسمية nominalism. فقد قال نيكولاس أن الموقف الصحيح للانسان من الله هو موقف التقوى والخضوع؛ وعلينا أن نقبع فى الظلام ولنتظر صابرين فى انتظار «رؤية الرب». كذلك انتشر الأدب الصوفى على نطاق واسع فى شتى ارجاء أوربا فى العصور الوسطى المتأخرة. ولايبدو أنه كن من قبيل المصادفة أن هذه المذاهب المتعلقة بالتجربة الروحية الفردية شاعت خصوصا فى انجلترا وألمانيا، حيث لقيت الأوكامية أيضا أكبر قدر من التأييد. فقد كانت الأوكامية والصوفية متقاربتين إلى حد كبير.

كان المتصوفة فى أواخر العصور الوسطى موالين للكنيسة ورجالها بشكل عام، ولكنهم، كما حدث فى القرن الثانى عشر، تجرأوا على انتقاد الاكليروس بسبب التأكيد الشديد على العلاقة بين الله والانسان، وسرعان ما تجاسر بعض الأتقياء على انكار صلاحية السلطة الكنسية. وكان أوكام نفسه قد زعم أن البابا، والمجمع المسكونى، يمكن أن يخطىء. ويبدو أنه قد استنتج أن المصدر الثابت الحقيقة هو الكتاب المقدس. وكان هذا الرأى يتضمن المدلول الثورى القائل بأن السلطة الدينية ينبغى أن تكون داخل الضمير الفردى لكل انسان. وقد صار مذهب سلطة

الكتاب المقدس أكثر أهمية بفضل زعيم هراطقة القرن الرابع عشر، وهو جون ويكلف John Wycliffe (١٣٢٠ - ١٣٨٤) الذى كان استاذا بارزا من أساتذة اللاهوت فى أوكسفورد. وكان ويكلف شخصا ممروا، تعيسا، عصابيا، ولكنه كان رجلا ذا تعليم راق ومهارة لا تبارى. لم يكن أوكاميا، ولكنه كان أفلاطونيًا؛ ومما يشى باستمرار انفصام عالم الفكر فى العصور الوسطى المتأخرة أن هذا المفكر الهرطقى العظيم الذى ظهر فى أخريات القرن الرابع عشر كان واقعيا. ويبدو أنه اقتنع بالكتاب المقدس كانبثاق عن العقل وانعكاس للشكل الروحى، وباعتباره سلطة لا تقبل المناقشة. ومن هنا مضى فى تأليف موسوعة ضمت المذاهب الهرطقية التى ظهرت على مدى القرنين السابقين، وجمعت ما بين تعاليم بطرس الوالدوانى، ويواقيم الفلورى، ومارسيليو البادوانى. وأنكر سلطة القساوسة، وعملية تحول الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ودمه، كما هاجم البابا على أنه المسيح الدجال، ودعا إلى خلق كنيسة روحانية خالصة وذلك بإعطاء الأراضى الكنسية للعلمانيين. وكان طبيعيا أن يكون هذا المبدأ الأخير من بواعث سرور الحكومة الانجليزية والنبلاء، ولم تستطع الكنيسة أن تضطهده. ولكن ويكلف فعل ما هو أكثر من مجرد نشر مكتبة صغيرة من اللاهوت الهرطقى؛ فقد ترجم الكتاب المقدس للانجليزية، وألهم المبشرين الجوالين الذين عرفوا باسم اللولارد Lollards[٣]، وشجعهم بشخصه على السفر والترحال فى كل مكان لنشر مذاهبه. وفى ثمانينيات القرن الرابع عشر كانت انجلترا، التى خلت تماما من الهرطقة فى القرن السابق بحيث لم تعقد بها أية محكمة من محاكم التفتيش، قد صارت مركزا لأقوى حركة هرطقية فى أوربا.

وليس هناك شىء، فى كتابات مارتن لوثر، أو أى من المصلحين البروتستانت فى

---

(٣) أطلق هذا الاسم فى القرن الرابع عشر على أتباع ويكلف، ثم امتد ليشمل نقاد المؤسسة الكنسية وقد برزت جماعة أوكسفورد من مثقفى جامعة أوكفورد، ونظمهم نيكولاس هيرفورد أحد أتباع ويكلف. وكانوا يبشرون بتعاليمه وجذبوا إليهم أتباعا كثيرين من شتى أنحاء إنجلترا. وقد أدين اللولارد بعد إخماد ثورة الفلاحين سنة ١٣٨١، لأن الطبقات العليا اعتبروهم من دعاة الثورة. وعلى الرغم من أن الكنيسة بدأت تضطرهم منذ سنة ١٣٨٢ فصاعدا، فإنهم اكتسبوا شعبية بين البورجوازيين وأهالى الكوميونات. وفقدوا نفوذهم بعد تمرد قاموا به بقيادة جون أولدكاسل فى سنة ١٤١٤م عندما أخذ هنرى الخامس عصيانهم بقسوة - انظر:

K.B. McFarlane, John Wycliffe and Beginning of the English Nonconformity «1952».

(المترجم)

القرن السادس عشر، لا يمكن أن نجده فى القرن الرابع عشر. وليس السؤال هو لماذا حدثت ثورة البروتستانت والانشقاق فى القرن السادس عشر، وإنما السؤال هو لماذا لم يحدث هذا قبل مائة أو مائة وخمسين سنة؟ وربما يكون هذا هو أهم سؤال يمكن طرحة فيما يتعلق بالعصور الوسطى المتأخرة. ويمكن أن نقدم خمسة أسباب لفشل الحركة الهرطقية فى القرن الرابع عشر فى أحداث الإنشقاق فى العالم المسيحى. أولا لم يكن القرن الرابع عشر يعرف آلة الطباعة، التى لم تستخدم حتى سنة ١٥٠٠م. وكان من الصعب تماما على المنظرين الهراطقة أن ينشروا مذاهبهم. ففى مطلع القرن السادس عشر انتشرت الأفكار نفسها انتشار النار فى أرجاء أوربا. فقد حملت مذاهب ويكلف إلى بوهيميا، نتيجة لاحدى زيجات التحالف وما ترتب عليها من علاقات بين انجلترا وهذه البلاد النائية، ولكنه لم يكسب أى اتباع فى فرنسا وألمانيا. وثانيا أن الانكماش الطويل الذى حدث فى العصور الوسطى المتأخرة، أنتج مشاعر السخط، وسلب من الناس طاقتهم، وجعلهم فى حال من اللامبالاة بحيث لا يتورطون فى صراع كبير ضد السلطة الكنسية. وثالثا، هناك حقيقة تناقضية مؤداها أن البابوية كانت فى حال من الضعف فى القرن الرابع عشر بحيث لم تبذل سوى جهد قليل للغاية فى ضرب الحركات الهرطقية، وإذ لم تستخدم البابوية القوة ضد الهرطقة الجديدة فانها تركتها تستهلك نفسها بنفسها.

ولا شك فى أن السببين الأخيرين هما أكثر الأسباب أهمية. ذلك أن الطبقات الثرية فى أوربا كانت تخشى المدلولات الاجتماعية الواضحة فى الهرطقة. وبدا أنها سوف تثير التمرد الاجتماعى، وكان هذا هو سبب تحول أبناء هذه الطبقات ضد الحركات الهرطقية حوالى سنة ١٤٠٠. لقد كان القرن الرابع عشر هو عصر الثورات الاجتماعية الأولى فى أوربا. إذ كانت البروليتاريا الصناعية، التى تكاثرت بفضل صناعة النسيج فى الفلاندرز وفلورنسا مشتبكة فى صراعات مريرة وفاشلة ضد الأوليجاركيين الذين كانوا يتسيدون الحياة فى المدن. بل إن الفلاح، الذى كان وضعه الاقتصادى قد تحسن فى مناطق كثيرة من أوربا بسبب نقص العمالة، قد رفع رأسه للمرة الأولى. وحيثما كان فلاح ذلك الزمان الطيع الصامت يشعر بأن أحدا قد أساء إليه، أو أن الحرية الجديدة التى أخذ ينعم بها تتعرض لعدوان أصحاب الأراضى اليائسين، فإنه كان يلجأ إلى العصيان الوحشى - مثل ثورة الفلاحين Jaquerie[٤] فى فرنسا وتمرد الفلاحين فى إنجلترا. ولا شك فى أن تمرد الفلاحين فى

(٤) إندلعت هذه الثورة سنة١٣٥٨ فى شمال فرنسا نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى فرضها النبلاء على الفلاحين عقب الوباء الأسود. وإرتبط هذا التمرد أيضا بالصعوبات =

إنجلترا قد لقى تشجيعا من المبشرين الجوالين الهراطقة، وربما يكون قد تم تحت زعامتهم، وأدى هذا إلى تحول الحكومة الإنجليزية والنبلاء ضد أتباع ويكلف. كذلك فإن أسلاف البروتستانت فى بوهيميا حولوا مذاهبهم إلى ديانة وطنية، ورفعوا السلاح، وأخافوا ألمانيا. وحقق بعد إحراق الزعيم الهرطقى جون هس John Huss، بناء على أوامر مجمع كونستانس، ظل تلاميذه وأتباعه يضايقون مناطق جنوب ألمانيا. وما حدث آنذاك هو أن الحركات الهرطقية ألهبت مشاعر السخط الاجتماعى والكراهية الوطنية، كما قدر لها أن تفعل فى القرن السادس عشر. ولكن لم يكن هناك لوثر فى أواخر العصور الوسطى لكى يوقف مد رد الفعل بحيث يفصل الراديكالية الدينية عن التطرف الاجتماعى والسياسى. ولم تكن مذاهب معاداة سلطة الكنيسة قد إختفت تماما فى القرن الخامس عشر، ولكنها أدينت بسبب الأحداث المرعبة مثل ثورة الفلاحين والحروب الهسية، وبذلك نزلت تحت الأرض لتختفى لمدة قرن آخر من الزمان.

والسبب الأخير فى عدم حدوث الإصلاح الدينى فى القرن الرابع عشر أو فى بداية القرن الخامس عشر، هو أن الحكومات الملكية كانت مشغولة ومتورطة فى مشكلات أخرى بحيث فشلت فى إنتهاز فرصة الموقف الدينى كما فعل كثيرون من ملوك القرن السادس عشر. ففى العقود الأولى من القرن الرابع عشر بدا وكأن قدر الملكية الوطنية فى كل من فرنسا وإنجلترا أن تستمر فى زيادة سلطانها، ولكن السنوات المائة والخمسين التالية تحولت إلى فترة حافلة بالمصائب للحكومة الملكية فى كل من البلدين. وكان على أوربا أن تنتظر حتى أخريات القرن الخامس عشر حتى تستطيع الدولة الإقليمية الحاكمة أن تضمن زعامتها فى المجتمع الأوربى. وفى الفترة الحاسمة سنحت للأرستقراطية فرصتها الأخيرة لكى تتحكم فى حكومتى دولتين مركزيتين؛ ولكن كبار السادة الاقطاعيين لم يظهروا من جراء سيادتهم وتحكمهم فى الحياة السياسية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر سوى دلائل

= التى عانت منها فرنسا فى أعقاب هزيمتها فى بواتييه سنة ١٣٥٦، وقد إتسمت بالعنف الشديد. وحاول المتمردون مهاجمة باريس بزعامة وليم كال Guillaume Cale على أمل الانضمام لثورة البورجوازيين بزعامة مارسيل Marcel Etienn ولم تنجح حركة الجاكرى هذه سوى فى توحيد النبلاء والبورجوازيين ضدها بحيث تم سحق التمرد فى قسوة بالغة. والجدير بالذكر أن مصطلح Jacwuerie مستمد من مصطلح Jacque الذى كان اسما عاما يطلق على الفلاحين - انظر:

G. Duby and A. Mandrou, History of French Civilization, (1963).

(المترجم)

الطمع والكسل. وكانت النتيجة فوضى اجتماعية لم تعرفها أوربا منذ القرن العاشر.

وهناك قدر كبير من اللوم يقع على الملكية فى كل من فرنسا وإنجلترا بسبب الظروف الخطرة التى وجدتا نفسيهما فى غمارها سنة ١٤٠٠م. فقد إستنفذتا مواردهما المالية والمعنوية، وإرتكبتا كل خطأ كان من الممكن أن يفتح الباب لصعود الأرستقراطية من جديد. إذ كان ادوارد الأول وفيليب الجميل قد اندفعا إلى مدى بعيد، ومن ثم كان كل منهما يتصرف بطريقة طائشة، لاسيما فى مجال الحكومة الفرنسية، مما كان له أوخم العواقب على خلفائهما. فالملكية التى كانت محبوبة للغاية فى القرن الثالث عشر كانت تواجه الإفلاس الأخلاقى عند نهاية حكم ادوارد الأول وفيليب الجميل. وكان من الواضح أن الإدارات الملكية قد إهتبلت الفرصة لنفسها. وهكذا، فإذا كان الملوك قد ألفوا أنفسهم فى موقف صعب، فلماذا لا ينتهز الجميع الفرصة ليأخذ كل لنفسه أكثر ما يمكنه؟ وكان ادوارد الثانى ابن ادوارد الأول، جنديا فاشلا، كما كان مصابا بالشذوذ الجنسى؛ وبذلك تم إجباره على التنازل عن العرش ثم إغتالته مجموعة من السادة الاقطاعيين المتآمرين مع الملكية الفرنسية. وقد إنتهى خط أسرة كابيه نهائيا فى سنة١٣٢٨؛ وكان أبناء عمومتهم من أسرة فالوا Valois ضعفاء مرتبكين. وفى ثلاثينيات القرن الرابع عشر، كان ملك إنجلترا ادوارد الثالث، وملك فرنسا فيليب السادس يخوضان حربا حمقاء نزقة سعيا وراء المجد فى ساحة القتال متجاهلين المشكلات التى سوف تنجم عن تجدد الصراع. وأدى هذا إلى المزيد من إستنزاف الخزانة الملكية وتعريض الإدارة الملكية لمخاطر العصيان الأرستقراطى. فضلا عن أنه كان من المحتمل أن يزيد من أهمية السادة الاقطاعيين فى البلاد.

وخلال السلام الطويل الذى ساد فى القرن الثالث عشر، كانت وظائف النبلاء العسكرية قد تقلصت؛ ولكنهم فى أتون الحرب اللانهائية التى نشبت آنذاك صاروا هم القادة الذين لا غنى للمجتمع عنهم. فقد عهد الملوك إلى السادة الاقطاعيين بتكوين الجيوش؛ وصارت هذه الفيالق هامة للأرستقراطيين فى الوطن بقدر أهميتها فى ميدان القتال. ذلك أن إمتلاك جيوش خاصة أتاح لكبار السادة الاقطاعيين أن يجابهوا الجميع، وأن يتدخلوا فى الشئون الملكية. لقد كان نظاما عسكريا مدمرا ذلك الذى أعاد أسوأ الأيام الاقطاعية القديمة؛ وقد أطلق عليه بحق «الاقطاع ابن الزنا».

وكان الأرستقراطيون من جانبهم غاية فى الجذل والسرور بزعامتهم المتجددة

للمجتمع؛ فقد وجدوا أنفسهم مساقين إلى الحائط بسبب تدهور الاقتصاد الريفى، وكان ملاذهم الوحيد هو تجريد حملات للنهب والتدخل فى الشئون الملكية. وفى القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر لاحت للأرستقراطية الإنجليزية والفرنسية فرصة ممتازة للمشاركة فى الشئون السياسية، ومساومة المرشحين للعرش، كما أن السادة الاقطاعيين الفرنسيين تآمروا مع الغزاة الإنجليز. وإنتهجت كل من الحكومة الإنجليزية والحكومة الفرنسية سياسة إنتحارية حين سمحت بتكوين الممتلكات الشاسعة للأمراء داخل كل من المملكتين. ففى كل من البلدين حصل الأمراء على هذه الامتيازات، ثم أخذوا يحاربون بعضهم بعضا فى سبيل الفوز بالعرش. وكان هذا النظام الذى يمنح الاقطاعات لأبناء الملك الصغار ويؤكد ملكيتهم لها وهو نظام الأباناج appanage، نظاما خاصا بفرنسا؛ كذلك عانت إنجلترا من الممتلكات والضياع الأرستقراطية الكبيرة فى مناطق الحدود.

وعندما بدأ ادوارد الثالث حرب المائة عام فى أواخر ثلاثينيات القرن الرابع عشر، كانت هذه العوامل قد بدأت تفعل فعلها. وفى غضون نصف قرن كانت الفوضى السياسية والاجتماعية قد أنشبت مخالبها فى فرنسا وإنجلترا. وقد أحرز الإنجليز إنتصارات باهرة على الفرنسيين، بسبب استخدامهم المتطور لرماة السهام من ناحية، ولكن الحكومة، من ناحية أخرى، لم تكن تستطيع أن تستمع بفتوحاتها فى القارة. إذ أنها كانت مشغولة بتمرد الأرستقراطيين وحروب الأمراء داخل الوطن. فقد جلبت الجيوش التى استخدمها السادة الاقطاعيون فى ضرب الفرنسيين إلى أرض الوطن لكى تخوض المعارك فى سبيل طموحات الأمراء وتنافسهم على العرش. أما البرلمان، الذى استخدمه ادوارد الأول كأداة فى خدمة السلطة الملكية، فقد تحول إلى أداة بيد الفريق الأرستقراطى. وفى خمسينيات القرن الخامس عشر بلغت هذه الحروب ذروتها فيما عرف باسم «حرب الوردتين»، وهى حرب أهلية بكل معنى الكلمة نشبت فيما بين الأرستقراطيين فى سبيل السيطرة على العرش الإنجليزى والحكومة الملكية. ولفترة من الوقت كانت فرنسا أسوأ حالا. ذلك أن أحد فروع الأسرة الملكية رمى بثقله مع الغزاة، وأخذت الجيوش الفرنسية تعانى من هزيمة تلو الأخرى، ولم ينقذ تاج فالوا، الأسرة الخائبة المرتبكة، سوى متاعب المملكة الإنجليزية الداخلية. لقد أتاحت هذه المشاجرات الإنجليزية الفرصة للصحوة الفرنسية التى بدأت فى ثلاثينيات القرن الخامس عشر، وبعد قرن من النهب الذى ارتكبه الإنجليز، إتفق الفرنسيون أخيرا على أمر واحد: هو أنه يجب طرد الإنجليز. ووجد الفرنسيون زعامتهم فى فتاة ريفية هستيرية اسمها جان دارك.

وأخيرا إغتنم لويس الثامن، بحركته البطيئة، فرصة هذا الشعور الوطنى لطرد الإنجليز المنقسمين على أنفسهم، وأعاد بناء السلطة الملكية.

لقد طرحت حلول كثيرة للمشكلات السياسية، والاقتصادية، والفكرية التى عانت منها أوربا فى أواخر العصور الوسطى. إذ وجد الكثيرون راحتهم فى التجربة الدينية العميقة، والعلاقة الشخصية مع الله. وقد طرح الإنسانيون الإيطاليون رأيا متفائلا عن قوى الذكاء الإنسانى النقدية والإبداعية، كما زرعوا التراث الكلاسيكى والأفلاطونية المسيحية كموارد وينابيع للمستويات الأخلاقية التى يمكن أن تعيد الإستقرار إلى الحياة الأوربية. وفى أواخر القرن الخامس عشر، إكتسبت هذه الإنسانية المسيحية، كما قدمها العالم الهولندى ارازموس Erasmus، أتباعها من أفضل مفكرى شمال أوربا. ولكن الجانب الآخر من برنامج الإنسانيين هو الذى لم يلبث أن تحقق على أكمل صورة فى الحياة الأوربية. فقد كان الإنسانيون الإيطاليون وطنيين غيورين متحمسين لمدنهم، وقادتهم وطنيتهم إلى الترويج لمذهب raison d'état الذى أقره ميكافيللى بشكل محدود فى مطلع القرن السادس عشر.

كانت الدولة السيادية التى لا تعترف سوى بمنطقها هى التى إتجهت نحوها شعوب أوربا المرهقة الواهية فى نهاية القرن الخامس عشر. فقد أسس ادوارد الرابع وهنرى السابع فى إنجلترا ولويس الحادى عشر فى فرنسا ما يعرف باسم «الملكيات الجديدة» التى كانت فى حقيقة أمرها عودا إلى حكومات ادوارد الأول وفيليب الرابع، ولكن مع مزيد من الاهتمام بالواجهة الأخلاقية وتأكيد أكثر على المشاعر الوطنية. وبعد قرنين من الفوضى بدا أن الحل الوحيد هو إعادة زعامة الدولة. وقد هلل الإنسانيون لمجد الملكية التى أعيد إحياؤها، والتى سوف تحفظ المستويات الأخلاقية وترعى الفنون. وبالنسبة للعلماء الذين تأثروا بالتراث الكلاسيكى إلى حد كبير، بدت السلطة المطلقة هى الشكل الوحيد للحكومة التى يمكنها الحفاظ على النظام الاجتماعى والصالح العام. وبالنسبة لكثيرين ممن وقعوا تحت تأثير الأشكال المختلفة للفردية الدينية، كانت الدولة السيادية محل ترحيب لأن الملك يستطيع أن يقف عقبة كأداة فى مواجهة السلطة الكنسية، أو ما يكون قد تبقى منها.

وفى سنة ١٥٠٠م كانت جميع البلدان الأوربية فى حاجة ملحة إلى السلام الداخلى. فبإنتهاء الإنكماش الكبير الذى عرفته العصور الوسطى المتأخرة، وما نتج عن ذلك من زيادة فى السكان، صار الإزدهار ممكنا فى المدينة والريف على السواء

بشرط إعادة القانون والنظام. وبدا أن الملكية هى المبدأ الوحيد للنظام، ومن ثم تفشت موجة جديدة من الحماسة لحقوق الملكية. وقد عمل ملوك أواخر القرن الخامس عشر فى كل مكان على نفس النموذج الأساسى للحكومة، بلاط صغير وبيروقراطية ملكية صغيرة تنشر السلام بين الأرستقراطيين، أو، عندما تفشل هذه السياسة، تقاتل كبار الاقطاعيين لمصلحة الكل الوطنى.

كان مؤرخو القرن التاسع عشر يظنون أن ظهور «الملكيات الجديدة» قد تم بتأثير تحالف كبير بين الملك والبورجوازية، وهو رأى لا يصمد أمام الفحص الدقيق. ففى إنجلترا، وفرنسا، وأسبانيا، حيث إنتعشت الملكية كان المجتمع محكوما بالملكية الزراعية. وكانت أموال البورجوازيين تفيد الملك فى تكوين جيوش المرتزقة، ولكن أهمية التجار والصيارفة فى الحياة السياسية كانت ضئيلة بالفعل. فقد كان الصراع بين البلاط الملكى، والمجلس، والبيروقراطية من جهة، والأرستقراطية من جهة أخرى. وكانت كافة طوائف المجتمع الأخرى - أى الغالبية العظمى من الشعب - تظل خارج الوطن السياسى. لقد هللوا للملك لأن إعادة السلطة الملكية كان يعنى ضمانًا للسلام والنظام، ولكنهم لم يكن لديهم سوى القليل من الكلام حول مسار التغير السياسى.

كانت علاقة الملك بالأرستقراطية علاقة مبهمة. فقد كان يشاركهم رؤيتهم وأسلوب حياتهم، وإذا كانوا راضين عن مراكزهم فى البلاط والحكومة كان يتوق إلى التعاون معهم ويعطيهم مكانهم المعتاد على قمة المجتمع. وفقط عندما يهدر كبار الاقطاعيين القانون والضرائب الملكية، ولاسيما حين يظهر كبار النبلاء طموحا لإعتلاء العرش، كان الملك يوجه جيوشه من المرتزقة ضد قلاع وحصون عائلات كبار ملاك الأراضى. فالبناء السياسى والاجتماعى لممالك الشمال، باستثناء إنجلترا، لم يتغير بشكل أساسى على مدى القرنين التاليين.

وعند نهاية القرن الخامس عشر كان هناك شعور واسع النطاق بأن النظام الاجتماعى يتطلب خضوع كافة الطبقات، والطوائف، والهيئات للسيادة المطلقة والقانون. وهكذا تم استئناف الإتجاه السياسى الذى عرفه القرنان الثانى عشر والثالث عشر، وتم تصعيده. ومع هذا فقد كانت هناك قيود عملية قاسية سنة ١٥٠٠ تحد من ممارسة السلطة الملكية، بغض النظر عما يقوله المنظرون عن حق الملوك الإلهى. فقد كانت الإتصالات والمواصلات فى سنة ١٥٠٠ على ما كانت عليه

سنة ١٣٠٠ تقريبا. إذ كانت شبكة المواصلات النامية ما تزال تعنى أن الحكومة الملكية، بصرف النظر عن أيديولوجيتها السلطوية، لم تكن تستطيع أن تفعل سوى القليل جدا للتأثير على الحياة اليومية للغالبية العظمى من الشعب. فقد كان الملك يقدم العدالة القانونية فى ساحات القضاء، ويجمع الضرائب، ويقود الجيوش ضد أعداء الوطن. ولكن أوربا سنة ١٥٠٠ كانت ما تزال بعيدة عن الدول المركزية الحاكمة العاملة للصالح العام، والتى عرفها العالم الصناعى الحديث، مثلما كان الأمر سنة ١٣٠٠. ولم يتم تقليم الاستقلال الذاتى للعائلات، والطوائف، والهيئات، والجماعات المحلية سوى بقدر محدود جدا، وكان خضوع الفرد للدولة مباشرة فى نطاق ضيق للغاية. إذ كانت هذه النظم الثانوية المباشرة هى المعول عليها فى حياة ٩٥٪ من الناس. ونادرا ما كان الناس فى حياتهم العادية يشعرون بهيبة الدولة، بالصالح أو بالطالح. وبهذا المعنى كانت أوربا سنة ١٥٠٠ ما تزال مجتمعا، ينتمى إلى العصور الوسطى أساسا، ولم يحدث التحول الكبير فى النظام السياسى والاجتماعى سوى ابان الثورة الصناعية.

وفى المدن الإيطالية كانت الدولة بالضرورة قريبة من حياة الناس بسبب صغر حجم هذه الكيانات السياسية. ولكن هذا الموقف الخاص لم يكن ذا أهمية كبيرة بالنسبة لأوربا ككل. أما ما ساهمت به إيطاليا فعلا فى الحضارة الأوربية سنة ١٥٠٠، فكان نوعا جديدا من الثقافة الدنيوية يمكن أن نسميها بالإنسانية. فقد كانت النهضة الإيطالية تطورا هاما فى الحياة الأوربية لأنها أقامت النظام التعليمى وأسلوب الحياة الذى شاع فى أوساط الأرستقراطية والشريحة البورجوازية العليا فى جميع أنحاء أوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. فلكى يكون المرء عضوا فى الصفوة يجب أن يعتمد على المكانة الاجتماعية الموروثة، وليست الثروة أيا كانت وسيلة جمعها. إذ كان ينبغى للمرء أن يكون عارفا بالكلاسيكيات، وأن يكون رفيع الأدب، وصاحب ذوق رفيع فى الفن، والموسيقى والملابس، كما يجب أن يستخدم أسلوبا مهذبا بليغا فى الحديث. وقد إستعار البورجوازيون الإيطاليون هذه المثل والأخلاقيات الأرستقراطية الفرنسية فى القرن الثالث عشر، وتشربوها كى يبرهنوا على جدارتهم بالإنتماء إلى صفوة الحضارة الأوربية. ولكنهم هذبوا الأسلوب الأرستقراطى القديم. وأثروه كثيرا، لدرجة أن الأرستقراطية الشمالية فى أواخر القرن الخامس عشر كان عليها أن تتعلم كيف تعيش وتتفوق على الإنسانيين الإيطاليين.

ومن السهل تماما أن نذم هذه الثقافة الإنسانية بإعتبارها أيديولوجية الطبقات

العليا، ولكن هذا التعريف يخطىء إدراك مغزى النهضة الإيطالية وإمتدادها صوب الشمال فى أواخر القرن الخامس عشر. ففى المحل الأول، كانت هذه الإنسانية هى الثقافة الوحيدة المقبولة، والأسلوب الوحيد الذى كان واعيا بذاته، والذى إستمر بفضل النظام التعليمى. ولم يحدث حتى الثورة الصناعية وتطور التعليم الجماهيرى أن تطورت ثقافة واعية بذاتها ومتداخلة فى الحضارة الأوربية مثلما حدث فى ذلك الحين. وثانيا، أنه على الرغم من أن الإنسانيين الإيطاليين والإنسانيين فى الشمال كانوا مسيحيين أتقياء، فإن الأخلاقيات الإنسانية كانت دنيوية فى جوهرها: فقد كان الرجل يحقق الواجبات الدينية المسيحية، ولكن كبرياءه، وقيمته فى المجتمع لم تكن ترتبط كثيرا بالهيراركية الثيوقراطية. لقد كان معيار إنتساب المرء للصفوة هو الجانب العلمانى فيه - أى تعليمه، وأسلوبه وسلوكياته، وهى أمور لم تكن متاحة سوى للأغنياء بطبيعة الحال. لقد كان ظهور هذه الأخلاقيات الدنيوية مؤشرا على تدهور الزعامة البابوية وصعود السلطة الملكية، ولكنه كان كذلك مؤشرا على نهاية حضارة العصور الوسطى وبزوغ فجر عصر جديد. وأخيرا يجب أن نؤكد على أن الأخلاقيات الإنسانية، على الرغم من أنها تختلف عن أخلاقيات كنيسة العصور الوسطى، كانت نتاجا لحضارة العصور الوسطى نفسها، كما أنها كانت فى التحليل الأخير نتاجا للنمو الفكرى والثورة الرومانسية فى القرن الثانى عشر.

وبينما كانت الثقافة الإنسانية تمثل أيديولوجية الطبقات الحاكمة سنة ١٥٠٠، فإنها كانت بالفعل مؤشرا على تقدم كبير فى تاريخ الغرب: إذ أنها أكدت على القيم الفردية، وعلى غرس نزعة التفوق الفردية وتحقيق عقلية حساسة متطورة. وأحد الموضوعات الكبرى فى تاريخ القرن الماضى هو ما إذا كانت هذه النزعة الفردية والكبرياء الشخصى يمكن تلقينها للجماهير، أو بعبارة أخرى، ما إذا كان تهذيب العقل والأخلاق الإنسانية، الذى جعلته النهضة الإيطالية وقفا على الأقلية الثرية، يمكن أن يتحول إلى تراث عام للإنسانية.

٢ - أفكار ختامية فى تاريخ العصور الوسطى:

من الشائع أن ننهى مسح تاريخ أوربا فى العصور الوسطى بتقارير ثابتة عن «تراث العصور الوسطى» إذ يتجشم الكتاب عناء إبراز حقيقة أن كثيرا من المؤسسات والمواقف التى ظهرت فى أوربا العصور الوسطى ما تزال معنا إلى اليوم: فالكنيسة الكاثوليكية، والحكومة النيابية، والجامعة، والنزعة الرومانسية، والعلم

التجريبى، والمؤسسات الرأسمالية، وغيرها مما نعتز به، من نتاج العصور الوسطى. وانها لحقيقة أن وجود العصور الوسطى معنا أكبر من وجود التراث القديم، كما أن حياتنا فى النهاية محكومة فى كثير من الجوانب بتراث العصور الوسطى. ولكن، من ناحية أخرى، فإن هذه المؤسسات والمثل العليا التى يمكن أن نجد أصولها فى العصور الوسطى، قد تغيرت بشكل ذكى منذ القرن الثالث عشر، وعلينا أن نعترف بالفروق الأساسية بين عالمنا وعالم توماس اكويناس وسان لويس. ويمكن أن نجمل هذا فى القول بأنه إذا استطعنا أن نرجع القهقرى إلى القرن الثالث عشر، فإننا سوف نجد الناس فى العصور الوسطى يختلفون عنا بالفعل. ولسوف تروعنا الروائح الكريهة المنبعثة من أجسادهم، وعاداتهم الشرهة فى الأكل، وإفتقارهم للراحة البدنية، وتدينهم المتعصب، وإعتقادهم العميق فى الخرافات، فضلا عن العنف والقسوة اللذين يسودان حياتهم اليومية. وبعبارة أخرى فإن حضارة العصور الوسطى كانت فى كثير من جوانبها حضارة مجتمع ما قبل التصنيع. وحضارة العصور الوسطى لم تحقق التطبيق الكامل للعلم على التكنولوجيا، وهو ما جعل اقتصادنا الاستهلاكى ممكنا. وهنا يكمن أوضح الخطوط الفاصلة بين الناس فى العصور الوسطى وبيننا. ومع هذا، فإننا أقرب إلى أهل العصور الوسطى منا إلى أية حضارة أخرى فى الماضى. إذ أننا نستطيع أن نشارك فى تجاربهم أكثر مما نستطيع أن نفعله بالنسبة لإنسان العصور القديمة أو الشعوب الشرقية. لقد كانت العصور الوسطى تجربة طويلة جدا وحاسمة فى تطور الحضارة الغربية، ومن ثم فهى جديرة تماما بأن تكون موضوعا للدراسة. **ذلك أن فهم الماضى الوسيط أمر لا غنى عنه لكى نتعرف على هويتنا.**

وعلى أية حال، فهناك سبب آخر لدراسة تاريخ العصور الوسطى: ذلكم هو الدرس الذى يمكن أن نتعلمه من دراسة المسار الكلى لحضارة العصور الوسطى. وقد عبر الفيلسوف سانتيانا Santayana عن واحدة من أكثر الحقائق عمقا حين لاحظ أن أولئك الذين يجهلون الماضى يدينون أنفسهم بتكراره. فماذا فى تاريخ أوربا العصور الوسطى يمكن أن نتمثله ونترسم خطاه أو نتجنبه؟ من حسن الحظ أننا نعرف عن حضارة العصور الوسطى أكثر مما نعرف عن أية حضارة أخرى ماتت ومضت: ونحن نستطيع، بثقة فى الصفة الترجيحية لمعلوماتنا عن التغير التاريخى، أن ندرس نموذج تطور أوربا فى العصور الوسطى وأن نتعلم من هذه الدراسة دروسا تلهمنا وتمنحنا الوعى. فتاريخ العصور الوسطى يعلمنا أن الإنجازات الهائلة يتناول مجموعة صغيرة من الصفوة التى ترشدها المثل العليا والقادرة على تحقيق هذه المثل،

أمر ممكن. وأكثر ما يبعث على السرور فى هذه الدراسة يأتى من التأمل فى الشخصيات والأعمال التى أتاها أولئك الرجال العظماء الذين قادوا أوربا على مدى قرون عديدة - من قسطنطين، إلى جريجورى السابع، حتى سان لويس - أولئك الرجال الذين كانت لديهم الجرأة على تحقيق أشياء عظيمة لأنهم أخذوا الرب مأخذ الجد.

وفى تاريخ العصور الوسطى كذلك درس نتعلمه عن إنهيار الحضارة، وفى تجاهلنا لهذا الدرس خطر كبير على ثقافتنا وعلى مجتمعنا. فقد خلقت حضارة العصور الوسطى، بعد صراع طال خمسة قرون على أساس توليفة معقدة وعقلانية بين الروح التى تمثلها الكنيسة والعالم الذى تمثله الملكية. وقد رأينا فى هذا الكتاب كيف أن إنهيار التوازن فى القرن الحادى عشر، حدث حين إستهان هذا التوازن بمبادئ بعض الرجال الغيورين الدينية والأخلاقية، ففشلت محاولتهم لإعادة بناء المجتمع وفقا لمثلهم التطهرية. وقد تمت صياغة توازن أقل كمالا فى القرن الثالث عشر وضع فى حسبانه نتائج الإبداعية فى التعليم والتدين والسلطة. ولكن هذا الوفاق الجديد كان قائما على توازن دقيق وحساس بين الأطراف بحيث لم يستمر طويلا. وكانت النتيجة إنهيارا عصبيا اجتماعيا، وبدأ السعى إلى إشباع رغبات المستهترين المرعبين الذين إنتهكوا مبادئ النظام فى العصور الوسطى.

وهكذا، فإن دراسة التاريخ الوسيط تعلمنا أن الحضارة نتيجة للتداخل المركب بين الروح والسلطة، بين الموارد الروحية والموارد المادية؛ وأن هذا الوفاق الحساس يصعب الحفاظ عليه، لأن الحفاظ يتطلب ذكاء، ناضجا، وإعتدالا عاقلا، ويقظة مستمرة؛ وأن أعداء الحضارة، بغض النظر عن البدائيين الذين لا يفهمون، هم أولئك الغلاة غير المسئولين والهازئون العصابيون.

دليل للقراءة فى التاريخ الوسيط

هذه محاولة للإشارة إلى أهم وأحدث الدراسات والبحوث التى تتناول الموضوعات الواردة فى كل فصل من فصول هذا الكتاب.

الجزء الأول : المصير الرومانى.

الفصل الأول : الاضمحلال والسقوط.

Bury, J.B. History of the Later Roman Empire, New York; Dover, 1957.

وهو عبارة عن تاريخ سياسى شامل.

Gibbon Edward. The Decline and Fall of the Roman Empire, D. Saunders, ed. New York: Viking 1974.

وهو ما يزال يحمل طابعا قصصيا داخليا على الرغم من مضى مائتى سنة على تأليفه.

Jones. A.H.M. The Later Roman Empire. 3 vols. New York: Harper and Row, 1968.

وهو عبارة عن دراسة شاملة وممتازة لكل جوانب المجتمع الرومانى المتأخرة.

Rostovtzeff M.I. The Social and Economic History of the Roman Empire. London: Oxford University Press, 1957.

وهو موضوع يتميز بالأصالة والعبقرية ويتناول الصراع فى العالم الرومانى.

وهو كتاب مثير.

المصادر:

Apuleius. The Golden Ass. R. Graves. trans. Nork: Farrar, Straus and Givaux, 1945.

وهى عبارة عن رواية رومانية تكشف عن الاضطراب الكامن فى الامبـراطوريـة المتأخرة.

Casson, L., ed. Selected Satires of Lucian. Now York: Norton. 1968.

يتناول فترة الامبراطورية المتأخرة والحماسة الدينية فيها.

الفصل الثانى: الامبراطورية المسيحية والكنيسة المسيحية.

Alfoldi, A. The conversion of Constantine and Pagan Rome, London: Oxford University Press, 1948.

يصور قنسطنطين فى صورة المسيحى المخلص؛ وهو كتاب دينى الطابع ولكنه مثير للاهتمام.

Burckhardt, I. The Age of Constantine the Great. New York: Pantheon 1949.

يصور قنسطنطين فى صورة الانتهازى السياسى المخـادع؛ وهو من أهم مؤلفـات القرن التاسع عشر، يلقى ادانة مستمرة من الباحثين ولكن لا يمكن تجاهله.

Jonas, H. Gnostic Religion. Boston: Beacon 1963. Lietzmann, H. History of the Early Church. 4 vols. Cleveland: Publishing, 1961.

كتاب ذو طابع محافظ يروى بالتفصيل قصة ظهور المسيحية.

MacMullen, R. Constantine. New Yodk: Harper and Raw, 1971.

تـرجمة ممتـازة وشاملة وممتعـة لقنسطنـطين، تركـز على الـطبيعة المعقـدة لشخصية قنسطنطين وسياسته.

Momigliano, A. The Conflict Between Paganism and Christianity in the Fourth Century. London: Oxford University Press, 1961.

Nock, A.D. Conversion. New York. Cambridge University Press, 1961.

Piganiol, A. L'empire chrétien, Paris: Presses Universitaires de France, 1933.

وهو عبارة عن تحليل ممتاز.

مصادر:

العهد الجديد، طبعة أورشليم.

Eusebius, Bishop of Caesarea. Ecclesiastical History. Grand Rapids: Baker Books, 1974.

وهو تاريخ الكنيسة كما يراه واحد من أهم أساقفتها؛ وهو بمثابة الايديولوجية للملكية القسطنطينية.

الفصل الثالث: بناء المسيحية اللاتينية.

Bolgar, R.R. The Classical Heritage and its Beneficiaires, New York: Cambridge University Press, 1954.

كتاب هام جدا يكشف القيمة الاجتماعية للتراث الكلاسيكى فى عام العصور الوسطى.

Brown, P.R. Religion and Society in the Age of St. Augustine. London Feber, 1972.

وهو عبارة عن مسح مفيد لعالم آباء الكنيسة.

St. Augustine of Hippo, Berkeley: University of Cali-fornia Press.

Cochrane, C.N. Christianity and Classical Culture. London: Oxford University Press, 1959.

من أهم الكتب التى تتناول حلول المسيحية محل قيم الثقافة الكلاسيكية، وهو عبارة عن رؤية أكثر واقعية للإنسان تعكس الأوغسطينية الجديدة التى شاعت فى ثلاثينيات القرن العشرين، ولكنه ما يزال من أكبر المؤلفات فى هذا المجال.

Ladner, G.B. The Idea of Reform, Cambridge, Mass: Hervard University Press, 1944.

كتاب هام لدراسة فكر آباء الكنيسة.

Meer, F., van der. Augustine the Bishop. New York: Sheed and Ward, 1962.

Mommsen, T.E. Medieval and Renaissance Studies. Ithaca, N.Y.: Carnell University Press, 1959.

Morey, C.R. Christian Art. New York: Norton, 1962. Nygren, A. Agape and Eros, New York: Harper and Row, 1969.

دراسة واعية لمكانة الحب الإنسانى والآلهى فى المسيحية.

Palanque, J.R. Saint Ambroise et l'empire romain. Paris: L. de Bocard, 1933.

يصور القديس أمبروز كرجل من رجال الحكومة الكنسية.

Prestige, G.L. God in Patristic Thought, 2nd ed. Noperville, Ind: Allenson, 1952.

Smalley, B. The Study of the Bible in the Middle Ages. Notre Dame, Lnd.: University of Notre Dame Press, 1952.

Walson, H. The Philosophy of the Church fathers 3rd ed. Cambridge Mass.: Harvard University Press, 1970.

دراسة هامة جدا، وذات تأثير هام.

المصادر:

Saint Augutine. The City of God. D. Knowles, ed. Baltimore: Penguin, 1972.

من أهم كتب العصور الوسطى عمقا وتأثيرا.

Saint Augustine. Confessions. F. Sheed, trans. New York: Sheed and Ward. 1942.

يتناول الحج النفسى والروحى للمعلم الأكبر للكنيسة الغربية موضحا الجوانب المذهلة فى هذه الشخصية.

الجزء الثانى: تحول الحكومة والمجتمع الأوربى.

الفصل الرابع: عصر الغزوات الجرمانية.

Bury, J.B. The Invasion of Europe by the Barbarians: New York: Norton 1967.

وهو عبارة عن سرد ممتاز للتاريخ السياسى.

Chadwick, H.M. The Heroic Age, Cambridge: Cambridge University Press, 1926.

مقارنة حاذقة بين العالم الجرمانى والعالم البطولى.

Courcelle, P.P. Histoire literaire des grands invasions germaneques. Paris: Hockette, 1948.

وهو بحث مقنع وأصيل فى الثقافة الجرمانية؛ ودراسة لم يسبق لها مثيل.

Dopsch, A. The Economic and Social Foundations of Europe. New York: H. Eertig, 1969.

مناقشة مكثفة تحاول اثبات أن الغزوات الجرمانية لم تحدث سوى القليل من الضرر الاقتصادى والاجتماعى. وهو دراسة تاريخية ذات اتجاهات نازية.

Latouche, R. Les grands invasions et le cris d'occident au Vie Siécle. Paris: Aubier, 1946.

أحسن تاريخ كتب عن الكوارث التى نجمت عن الغزو والتفكك الاجتماعى، وهو دراسة ذكية بشكل يثير الدهشة.

Lott, F. The end of the Ancient World and the Beginning of the Middle Age. New York: Harper and Row, 1974.

أحد المؤلفات الكبرى حول هذه الفترة التى تميزها الفوضى، كتب فى العقد الثانى من القرن العشرين، وهو يعكس عصره؛ ومن آثار عصر الجمهورية الفرنسية الثالثة.

Salin, E. Le civilisation merovingienne. 5 vols. Paris: A. et J. Picard 1959.

محاولة بالدليل الأثرى والعملات وبالدليل الأدبى لاثبات أن الغزوات كانت كارثة مطبقة.

Wallace-Hadrill, J.M. The Babarian West, New York: Harper and Raw, 1952.

المصادر:

Beowulf. M. Alexander, trans. Baltimore: Penguin, 1973.

وهذه الملحمة عبارة عن واحد من أفضل موضوعات البطل الشعبى الجرمانية؛ وهو كتاب معقد للغاية.

Gregory, Bishop of Tours. History of the Franks. L. Brehout, trans. New York: Norton, 1969.

والكتاب يحكى قصة الفوضى، والعنف، والقسوة التى اتسم بها مجتمع غاليا الفرنجية كما رآها أسقف أرستقراطى وهو مدهش.

Tacitus. Germania. H. Mattingly, ed. Baltimore: Penguin, 1971.

وهو يمثل وجهة نظر أرستقراطى رومانى عن أساليب الحياة البدائية لدى الشعوب الجرمانية – وربما يكون هجوما على التدهور الرومانى.

الفصل الخامس: بيزنطة والاسلام.

بيزنطة.

Baynes, N., and Moss. H. Byzantium: Introduction to Eastern Roman Civilization. New York: Oxford University Press, 1948.

Diehl, Ch. Byzantium: Greatness and Decline. New Brunswick, N. J.: Rutgers University Press, 1957.

مقدمة طريفة عن الحضارة البيزنطية.

Ostrogorsky, G. History of the Byzantine State. New Brunswick, N. J. Rutgers University Press, 1969.

كتاب تاريخ نادر المثال فى معالجته لأحوال بيزنطة، وبه قائمة شاملة من المصادر والمراجع.

Vasihev, A.A. History of the Byzantine Empire, 2 vols. Ann Arbor: University of Michigan Press, 1968.

ملىء بالتفاصيل ومفيد.

المصادر:

Hull, D. B. Digenes Adritas, The Two Blood Border Lord. Athens Ohio University Press, 1972.

أعظم ملحمة بطولية.

Procopius. The Secret Histories, R. Atwater, trans. Ann Arbar: University of Michigan Press, 1964.

صور بلا رتوش للامبراطور جستنيان والامبراطورة تيودورا.

The Institutes of Justinian. T. C. Sandars trans. 7th ed. London. Longmans, 1948.

أكبر مجموعة قوانين تم جمعها، وهى عالم قائم بذاته، وقد تحولت لتخدم أوربا القرن الثانى عشر.

الاسلام:

Gibb, H. Mohammedanism. 2nd ed. London: Oxford University Press, 1953.

Goitein, S. D. Studies in Islamic History and Institutions. New York: Humanities, 1966Œ

مجموعة من المقالات الهامة حول جوانب مهمة من الحياة الاسلامية.

Grunebaum, G. von, Medieval Islam, 2nd. ed. Chigaco: University of Chicago Press 1953

Hitti, P. K. A history of the Arabs. 10th ed. New York: S. Martin, 1970.

Rodinson. A. Mohammed.. UUw York: Pantheon, 1971

سيرة للنبى (ﷺ) كتبها يسارى فرنسى، وهو كتاب مثير.

Saunders, J. A history of Medieval Islam. New York: Barnes and Noble, 1965.

Watt, W.M.A. history of Islamic Spain. Chicago: Adline, 1965.

كتاب مفيد يعالج واحدة من أزهى فترات الحضارة الاسلامية.

الفصل السادس: نمو الزعامة الكنسية.

Casper El Geschichte des Papstumo. 2 vols.

Tubingen, West Germany: Mohr, 1930.

أفضل ما كتب عن البابوية فى القرن السادس؛ وهو كتاب كلاسيكى؛ مذهل فى معلوماته، رائع ويكشف عن رؤية داخلية للأحداث.

Dudden, H. Gregory the Great. 2 vols. London: Russel, 1967.

كتاب كئيب ولكنه مفيد.

Schmitz, P. Geschichte des Benedicktinerordens. Zurich: Benziger, 1960.

Ullman, W. The Growth of the Papal Government in the Middle Ages. London: Methuen, 1965

عمل يقنعك بأن نمو الكنيسة اللاتينية كان عملية عضوية، وهو يمتاز بالحرفية وهام.

المصادر:

Gregory the Great. The life of St. Benedict. M.L. Uhlfelder, trans. Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1966.
The Rule of St. Benedict-Excerpts from the Holy Rule of St. Benedict. St. Charles III.: St. Charles House, 1974
Waddell, H. The Desert Fathers. Ann Arbor: University of Michigan Press, 1957.

الجزء الثالث: أوربا الأولى.

الفصل السابع: بناء الملكية الكارولنجية.

Bieler, L. Irelnd Harbinger of the Middle Ages. London: Oxford University Press, 1966.

Bair P.N. Introduction to Anglo-Saxon English. New York:Cambridge University Press, 1954.
Chadwick, N. Celtic Britain. New York: Praeger, 1963.

كتاب يتسم بالأصالة، ودراسة قيمة.

Hanning, R. The vision of History in Early Britain, New York: Columbia University Press, 1966

رائع، ومقنع، وأصيل.

Hughas K. The Church in the Early Irish Society. Ithaca, Oxford University Press.

كتاب يكشف عن الابداعية والحيوية والأصالة التى تميزت بها الكنيسة

Hughes K. The Church in the FarLly Irish Society. Ityaca,N.Y. Cornell University Press, 1966.

استكشاف للتغيرات الثقافية فى القرن الثامن، وهو كتاب هام يمتاز بالحرص والاتزان.

Schieffer, T. Winfred Bonifatius und die Christliche Grundla,gen Europas. Germany: Herder, 1954.

دراسة هامة عن الثقافة الكنسية.

Whiteiock, D. The Begininnings of English Society. Hammonds-worth, Eng.: Pelican, 1950

مقدمة مفيدة جدا عن انجلترا الأنجلو سكسونية.

المصادر:

Bede. The Ecclesiastical History of the Egnlish People. L. Shirley - Price trans. Baltimore, Penguin, 1974.

أحسن مؤلف تاريخى كتب فى العصور الوسطى الباكرة.
الفصل الثامن: الثقافة والمجتمع فى أوربا الأولى.

Bronsted, J, The Vikings. Balitmore: Penguin 1973. Burns, C.D. The First Europe, London: Allen and Unwin, 1974.

Caulburn, R, Feudalism in History. Princeton, N. J. : Princeton University Press, 1957.

Fichtenau, H. The Carolingian Empire. P. Manz, trans. New York: Harper and Row, 1963.

Ganshof, F. Feudalism, P. Grierson, trans New York: Harper and Raw, 1961.

———. Frankish Institutions Under Charlemagne, New York: Norton, 1970.

عبارة عن مجموعة مقالات عن جوانب مختلفة من الامبراطورية الكارولنجية.

Halphen, L. Charlemagne et l'empire carolingien. Paris: A. Michel, 1949.

أحسن كتاب كتب فى هذا الموضوع: وهو عبارة عن توليفة جميلة.

Hinks, R. Carolingian Art. Arbor: University of Michigan Press, 1962

Laistner, M.L.W. Thought and Letters in Western Europe. Ithaca, N. Y, Cornell University Press, 1966.

Latouche, R. The Birth of the Western Economy. London: Methuen 1961.

Pirenne, H. Mohammed and Charlemagne. New York: Norton, 1993.

علامة على طريق البحث التاريخى يتناول تأثير الاسلام على أوربا الغربية، ومؤلفه واحد من أعظم علماء التاريخ الوسيط: اقرأه ولكن لا تصدقه بالضرورة.

Turville - Perte, G., The Heroic Age of Scandinavia. New York: Hutchinson's University Library, 1951.

White, L. Mediveal Technology and Social Change. New York: Oxford University Press, 1966.

كتاب هام يحلل بذكاء بأثير تكنولوجيا الحرب على التنظيم الاجتماعى فى أوربا.

المصادر:

Einhard and Notker the Stammerer. The Lives of Charlemagne. L. Thorpe: Penguin 1966.

صورتان مثيرتان لأعظم ملك فى العصور الوسطى الباكرة.

Lupus of Ferrier. Collected Letters. G.W. Regenos, trans. The Hague: Martinus Nijhoff, 1967.

عبارة عن مجموعة كاملة من الخطابات التى كتبها أحد الأعضاء الثانويين فى «النهضة الكارولنجية».

الجزء الرابع: التوازن فى العصور الوسطى الباكرة.

الفصل التاسع: الكنيسة والعالم.

Barraclough, G. the Origins of Modern Germany. New York: Putman, 1963.

Focillon, H. The Year 1000 F.D. Wieck, trans New York: Harper and Row 1969.

عن تأثير الهامات الألف الأولى على الفن فى العصور الوسطى، عقلى ومقنع.

Kantorowicz, E. Laudes Regiae, Berkeley: University of California Press, 1958.

يتناول ايديولوجية الملكية الثيوقراطية، وهو كتاب غير عادى، وهام.

Schramm, P.E. Kaiser, Rom, und Renovatio. Berlin: B.G. Teubner, 1929.

Tellenbach, G. Church, State, and Christian Society at the time of the investiture Contest. New York: Harper and Row, 1970.

أحسن دراسة عن الأسس الأيدلوجية للسياسة فى القرن الحادى عشر؛ وهو الكتاب الوحيد الذى يجب قراءته عن الاصلاح الجريجورى.

Thompson, J.W. Medieval Germany. Chicago: University of Chicago Press, 1928.

الفصل العاشر: بيزنطة، والاسلام، والغرب.

Geanakopolos, D.J. Byzantine East and Latin West. New York: Harper and Row, 1966.

Grabar, A. Byzantine and Early Medieval Painting. New York: Viking, 1973.

Hussy, J. Church and Learning in the Byzantine Empire. New York: Russell and Russell, 1963.

مجموعة من المقالات تبحث فى العلاقة بين الدراسة، والدين، والسياسة فى العالم البيزنطى.

Lewis, B. The Arabs in History. New Youk: Harper and Row, 1966.

Obolensky, D. The Byantine Commonwealth London: Weidenfeld, 1972.

كتاب مفيد، ويتضمن آراء أصيلة عن الثقافة البيزنطية والمؤثرات البلدانية فيها.

Southern, R.W., Western Views of Islam in the Middle Ages. Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1962.

المصادر:

Comnena, Anna. Alexiad, A.S. Dawes, trans. New York: Barnes and Boble, 1967.

Hitti, P.K. Usamah ibn - Munqidh; An Arab - Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades. New York: Columbia Univ. Press, 1929.

كتاب «الاعتبار» للفارس السورى أسامة بن منقذ، تعبير عن الرؤية الاسلامية للصليبيين.

ابن خلدون، المقدمة.

الجزء الخامس: عصر الاصلاح الجريجورى.

الفصل الحادى عشر: على مشارف العصور الوسطى العالية.

Bloch, M. Feudas Society. L. Manyan, trans. Chicago: Phoenix 1966.

Brooke, Z.N.Z. History of Europe 911-1198. London: Methuen, 1938.

Duby, G. Rural Economy and Country Life in the Medieval West. G. Postan, trans. London: Arnold, 1968.

Focillen, H. The Art of the West in the Middle Ages. 2 Vols. New York: Phaidon, 1969.

Hallinger, K. Gorge-Kluny. Rome: Studia Anselmiani, 1950.

عن الاصلاح الديرى.

Kern, F. Kingship and Law in the Middle Ages. S.B. Chrines, trans. New York: Harper and Row, 1970.

مناقشة ذكية واعية عن نظريات الملكية، والقانون المدنى، والنظرية التشريعية فى العصور الوسطى.

Leclerq, J. The Love of Learning and the Desire for God, New York: Mentor, 1962.

Lopez, R.S. The Birth of Europe. New York: M. Evans, 1967.

كتاب واسع الأفق، حافل بالمعلومات، وهو عبارة عن تاريخ اقتصادى واجتماعى جيد.

Sackur, E. Die Cluniacenser. Darmstadt, Germany: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1968.

أشمل وأعمق ما كتب حتى الآن حول تأثير الاصلاح الديرى فى القرن الحادى عشر؛ وهو مبهر من حيث مداه ومعلوماته الغزيرة. (طبعته الأولى سنة ١٩١١).

المصادر:

The Song of Roland. D.L. Sayers, trans. Baltimore: Penguin 1968.

قصيدة ملحمية تكشف عن أخلاقيات ثقافة الطبقة الارستقراطية المحاربة فى القرن الحادى عشر.

الفصل الثانى عشر: الثورة الجريجورية العالمية.

Fliche, A. Le Reform grégorienne et la rexonquête Chrétienne, Paris: Bloud et Gay, 1950.

على الرغم من أنه كُتِب منذ أكثر من خمسين عاما، فإنه ما يزال واحدا من أحسن ما كتب من المؤلفات عن عصر الاصلاح الجريجورى، ومؤلفه كاثوليكى محافظ.

Fournier, P. and Le Bars, G. Histoire des collections canoniques en Occident Paris: Sirey, 1932.

Klewitz, H. W. Reformpapstum und Kardinalkolleg. Darmstadt Germany: H. Genter, 1957.

دراسة ذكية للأيديولوجيات المتصارعة فى مجمع الكرادلة.

Marrison, K.F. Tradition and Autority in the Western Church. Princeton, N.J. Princeton University Press, 1969.

Prinz, J. Popes from the Ghetto. New York: Schocken, 1968.

رواية مثيرة للمشكلات عن العائلة اليهودية المتنصرة التى يقال أنها كانت تمول حركة الاصلاح الجريجورى.

Tierney, B. The Crisis of the Church and State. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1964.

مقدمة مفيدة عن مسائل ومشكلات النزاع حول التقليد العلمانى.

Whitney, J.P. Hidebrandine Essays. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1923.

المصادر:

The Correspondence of Gregory Vii. E. Emerton, trans. New York Norton, 1966.

الفصل الثالث عشر: الملكية الأنجلو - نورمانية وظهور الدولة البيروقراطية.

Brooke, Z.N. The English Church and Papacy from the Conquest to the Reign of John. Cambride: Cambridge University Press, 1939.

Cantor, N.F. Church, Kingship, and Lay Investiture in England New York: Octagon Books, 1967.

———, ed. William Stubbs on the English Constitution, New York: Crawell, 1966.

Davis, R.H.C. King Stephen. Berkeley: Univ. of California Press, 1967.

Dougla, D.C. William the Conqueror Berkeley: University of California Press, 1969.

سيرة جيدة ومحبوكة لواحد من أعظم ملوك انجلترا وأكثرهم حيوية.

Haskins, C.H. The Normans in European History New York: Norton, 1966.

دراسة تفيض بالاعجاب عن طاقة، وقدرة، وكفاءة النورمان، وهو كتاب ساذج ولكنه ممتع.

John, E. Orbis Britanniae. New York: Humanities, 1966.

مجموعة مقالات تعالج موضوعات فى تاريخ انجلترا فى أواخر العصر الأنجلو سكسونى.

Knowies, D. The monastic Order in England, Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1940.

عمل هام يعالج كافة جوانب الحياة الديرية فى انجلترا؛ وهو عام قائم بذاته، وقراءاته ممتعة.

Maitland, F.W. Domesday Book and Beyond. Cambridge: Cambridge Univ. Press 1907.

من أهم ما كتب فى التاريخ القانونى والاجتماعى.

Richardson, H., and Sayles, G.O. The Governance of Medieval England. Edinburg: Edinburg University Press, 1963.

Sayles, G.O. The Medieval Foundations of England, New York: A.S. Barnes, 1950.

المصادر:

The Ecclesiastical History of Odericus Vitalis. M. Chibnall, trans. and ed. Oxford: Clarendon Press, 1964.

كتاب شامل وساحر عن تاريخ الدوقات النورمان منذ مطلع القرن الحادى عشر حتى سنة ١١٥٤.

الفصل الرابع عشر: الحملة الصليبية الأولى وما بعدها.

Alphandery, P. and Dupont, A. La Chrétienté et l'idée de Croisade. Paris: A. Michel, 1954-59.

Erdman, C. Die Enstelung des Kreuzugsgedankens. Stuttgart: Kohlhammer, 1965.

دراسة ذكية عن أصول وأسس المثال الصليبى. كتاب بالغ الأهمية.

Krey, A.C. The First Crusade. Gloucester, Mass.: Peter Smith, 1955.

Runciman, S. A. Hist. of the Crusades. 3 vols. New York: Harper & Row, 1955.

Throop, P.A. Criticism of the Crusades. Amesterdam: N. Swets and zeitlinger, 1940.

المصادر:

Gesta Francorum, R. Hill, ed. Camden, N. J.: Nelson, 1962.

Joinville, Jean de, and Villehardouin, Geoffri de. Chronicles of the Crusades. M. Shaw, ed. Baltimore: Penguin, 1963.

الجزء السادس: التعليم، والدين، والسلطة.

الفصل الخامس عشر: النمو الثقافى لأوربا.

Cantor, N. F. The Meaning of the Middle Ages. Boston: Allyn & Bacon, 1973.

Chenu, M. O. Nature, Man, and Soociety in the Twelfth Century. Chicago: University of Chicago Press, 1968.

Chodorow, S.A. Christian Political Theory and Church Politics Berkeley: University of California Press, 1972.

Curtius, E.R. European Literature and the Latin Middle Ages. New York: Harper & Row, 1963.
Denomy, A.J. The Heresy of Courtly Love. Gloucester, Mass.: Peter Smith, 1965.

دراسة تثير الجدل حول دلائل ومغزى الغراميات فى البلاط.

Dranke, P. Medieval Latin and the Rise of the Love Lyric. New York: Oxford University Press, 1966.

كتاب هام يتناول أصول، وتطور، وموضوعات شعر البلاط.

GheLkkink, J. de L'essor de la Literature latin au XII ie Siécle. Brussels: Desclee de Brouwer, 1955.
Gilson, E. A. History of Christian Philosophy in the Middle Ages. N.Y.: Randon House, 1955.

كتاب يمتاز بالحرص، والتفصيل، وهو فائق الأهمية.

———, The Mystical Theology of St. Bernard. New York: Sheed & Ward, 1955.

تحليل هام لمواقف سان برنار اللاهوتية.

Heer, F. The Medieval World. New York: Mentor, 1964.

محاولة مثيرة لدمج السياسة، والدين، والفكر فى القرن الثانى عشر.

Kuttner, S. Harmony from Dissonance. Latrobe, Pa.: Archabbey Press 1960.

محاولة لفهم مكونات وبنية القانون الكنسى.

Le Bras, G., Lefebure, C., and Rambaud, J. L'âge classique. Paris: Sirey, 1965.
Leff, G. Medieval Thought. Chicago: Quadrangle, 1959.

مناقشة حاذقة للاتجاهات الرئيسية فى الفلسفة واللاهوت فى العصور الوسطى.

Lewis, C.S. The Allegory of Love. New York: Oxford Univ. Press, 1967.
Morris, C. The Discovery of the Individual. London: S.P.C.K., 1972.
Panofsky, E. Abbot Suger and the Abbey Church of St. Senis. Princeton: Princeton University Press, 1948.
Sikes, G. Peter Abelard. New York: Russell & Russell, 1965.

سيرة جيدة تصف قصة حياة أحد القادة الثقافيين فى القرن الثانى عشر.

Southern, R.W. The Making of the Middle Age. New Haven: Yale University Press, 1953.
Vinogradoff, P. Roman Law in .edieval Europe. New York: Barnes & Noble, 1968.
Wolff, P. The Cultural Awakening. New York: Pantheon, 1968.

المصادر:

Abelard, Peter. Historia Calamitum. Toronto: Pontifical Institute, 1964.

إنتصارات ومآسى واحد من أعظم مفكرى العصور الوسطى؛ قطعة من التاريخ النفسى.

Eschenbach, Wolfram von. Parzival. New York: Random House. 1973.

قمة الرومانسية الوسيطة: وربما يكون هذا الكتاب هو أكثر كتب العصور الوسطى خيالية.

John of Salisbury. The Statesman's Book. J. Dickinson, trans. N.Y.: Russell & Russell, 1963.

أحسن مثل على التراث الإنسانى فى العصور الوسطى.

The Letters of St. Bernard. B.S. James, trans. Chicago: Regenery, 1953.

الفصل السادس عشر: الفكر الإسلامى واليهودى: التحدى الأرسطى.

Baron, S.A. Social and Religious History of the Jews. 9 vols. N. Y.: Columbia University Press, 1952.

Husik, I. A. History of Medieval Jewish Philosophy N. Y.: Atheneum, 1966.

Katz, J. Tradition and Crsis. New York: Schocken, 1971.

دراسة ممتازة للمشكلات التى واجهت الحياة اليهودية فى العصور الوسطى.

Peters, F.E. Aristotle and the Arabs. New York: N.Y. University Press 1968.

Sharif, M.M. A History of Muslim Philosophy. 2 vols. Wiesbaden: Harrassowitz, 1966.

كتاب جيد جدا عن تاريخ مشكلات ومدارس وتطورات الفلسفة الإسلامية فى القرن الثانى عشر.

المصادر:

مؤلفات ابن رشد.

Halevi, Judah. The Kuzari. intro. by H. Slonimsky. New York: Schocken, 1964.

Maimonides, Moses. The Guide for the Perplexed. M. Friedlander, trans. New York: Dover. 1904.

الفصل السابع عشر: تنوع التجربة الدينية.

Borst, A. Die Catherer. Stuttgart: Hiersemann, 1953.

Cohn, N. The Pursuit of the Millennium. N.Y.: Oxford Univ. Press, 1970.

دراسة اجتماعية للحركات الأخروية فى أوربا ما قبل العصر الحديث، لا يعتد به ولكنه مثير.

Grundmann, H. Religiose Bewegungen in Mittelatter.
Hidesheim, West Germany: G. Olm, 1961.

Koch, G. Frauenrfage und Ketzertum. Berlin: Deutsche Verlage, 1966.

تحليل اقتصادى اجتماعى لمكانة المرأة فى الحركات الهرطقية.

Lea, H. C. Inquistion of the Middle Ages. N.Y.: Harper & Row, 1974.

Leff, G. Heresy in the Later Middle Ages. N.Y.: Barnes & Noble, 1967.

Runciman, S. The Mediwval Manichee. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 1955.

مقدمة جيدة عن تاريخ الهرطقة.

Russel, J.B. Witchcraft in the Middle Ages. Ithaca, N.Y.:
Cornell University Press, 1972..

Thouzellier, Co Catharisme et Valdensianisme en Languédoc Louvain, Belgium: Nauwelaerts, 1966.

Wakefield, W. Heresy, Crusade, and Inquisition in Southern France. Berkeley: University of California Press, 1974.

أفضل مقدمة فى هذا الموضوع لما تتسم به من إتزان ووفرة فى المعلومات.

المصادر:

Evans, A. P., and Wakefield, W., eds. Heresies in the High Middle Ages. New York: Columbia University Press, 1969.

مجموعة شاملة وقيمة للمصادر الأصلية.

الفصل الثامن عشر: تعزيز الزعامة الدنيوية.

Cantor, N.F. The English. New York: Clarion, 1967

محاولة الربط بين السياسة، والمجتمع، والثقافة.

Chrimes, S.B. An Introduction to the Administrative History of England. Oxford University Press, 1962.

Fawtier, R. The Capetian Kings of France. New York: St. Martin, 1960.

Hyde J.K. Society and Polities in Medieval Italy. New York: St. Martin, 1973.

Kantorwicz, E. The King's Two Bodies. Princetion, N. J.: Princeton Univ. Press 1957.
Kelly, A. Eleanor of Aquitaine anf the Four Kings. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1950.
Jolliffe, J. Angevin Kingship: London: A. and C. Black, 1963.
Knowles, D. Thomas Becket. London: British Academy, 1949.
Lot, F. and Fawtier, R. Histoire des institutions francaises au moyen age. Paris: Presses Univeritaires de France, 1957.
Maitland, F.W. and Pollock, F. The History of English Law. 2 vols. Cambridge: Cambridge University Press, 1973.

دراسة ذكية ومركبة للقانون والمجتمع الإنجليزى فى العصور الوسطى.

Muntz, P. Frederick Barbarossa. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1969.
Painter, S. French Chivalry. Ithaca. N. Y.: Cornell Univ. Press, 1957.
———, William Marshal. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1933.

سيرة لفارس بارز من فرسان أواخر القرن الثانى عشر.

Schramm, P.E. Der Konig von Frankreich. Weimar: H. Bohlaus, 1960.
Warren, W.L. Henry II. Berkeley University of California Press, 1973.

المصادر:

Fitzeale, Richard. The Course of the Exchequer. C. Johnson, ed. Camden. N.J.: T. Nelson, 1950.

العقلية البيروقراطية فى العصور الوسطى.

Jogn of Salisbury. Historia Pontificalis. M. Chibnall, trans. Camden, N. J.: T. Nelson, 1962.

مذهل من حيث أنه يكشف عن أساليب السياسة القذرة فى روما.

الجزء السابع: البحث عن توازن جديد.

الفصل التاسع عشر: سلام انوست الثالث.

Brentano, R. The Two Churches. Princeton, N.J. Princeton Univ. Press, 1968.
Jungmann, J. The Mass of the Roman Rute. New York: Benziger, 1955.
Lambert, M. Franciscan Poverty. ondon: S.P.C.K., 1961.

بحث فى المسألة التى خلقت النظام الفرنسسكانى، وأدت فى النهاية إلى حدوث الإنقسام فى صفوفه، هام.

Luchaire, A. Innocent III. 5 vols. Paris: A. Picard, 1925.
Mortimer, R. Western Canon Law. Berkeley: A. and C. Black 1953.
Packard, S.R. Europe and the Church Under Innocent III. New York: Russell & Russell, 1968.
Poole, A.L. Lectures on te History of the Papal Chancery. Oxford: Clarendon Press, 1922.

دراسة عن الجهاز المحرك للحكومة البابوية.

Powicke, F.M. Stephen Langton. Oxford: Clarendon Press. 1982.
Sabatier, P. Saint Francis of Assisi. New York: Scribner, 1894.

المصادر:

Brown, R., ed. The Little Flowers of St. Francis. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1971.

الأيديولوجية والأساطير الفرنسسكانية؛ وثقافة نقابات البورجوازيين، تجدها فى هذا الكتاب الذى يعطيك صورة قوية عن تأثير الفرنسسكان على المجتمع الحضرى.

الفصل العشرون: الوفاق الجديد وعيوبه.

BaldLwin, J.W. The Scholostic Culture of the Middle Ages. Lexington, Mass.: Heath, 1972.
Branner, R. Gothic Architecture. New York: Braziller, 1961.
Carté, M.H. Realists and Nominalists. New York: Oxford University Press, 1947.
Carsten, F.L. The origins of Prussia. New York: Oxford Univ. Press, 1954.

دراسة لحركة الزحف الألمانى صوب الشرق.

Copleston, F. Aquinas. Baltimore: Penguin, 1955.

دراسة مفيدة عن حياة وفكر أعظم فيلسوف فى القرن الثالث عشر.

Cromble, A. Robert Grosseteste and the Origins of Experimental Sience. Oxford: Clarendon Press, 1962

Easton, S. Roger Beacon. New York: Columbia University Press, 1952.

Gilson, E. The Philosophy of St. Bonaventure. Paterson, N.J.: St. Anthony Guild Press, 1956.

Gimpel, J. The Cothedral Builders. C.F. Jones, trans. New York: Grove, 1961.

Grabmann, M. Die Geschichte der Scholastichen Methode. Berlin: Akademie Verlag, 1966

Holt, J.C. Magna Carta. New Youk: Wiley, 1969.

كتاب حديث ممتاز يناقش مشكلات وتفاسير الميثاق الأعظم.

Homans, G. English Villagers of the Thirteenth Century London: Russell & Russell, 1960.

دراسة اجتماعية متميزة للرجل العادى فى أوربا العصور الوسطى.

Kantorowicz, E. Frederick II. E.O. Lorimer, trans. New York: Ungar 1957.

تصوير للفاشية فى العصور الوسطى.

Leff, G. Paris and Oxford Universities in the Thirteenth and Fourteenth Centuries Grand Rapids, Mich Krieger 1968.

كتاب محكم يجمع فى ذكاء بين كافة جوانب الحياة الجامعية.

Luchaire, A. Social France at the Time of Philip Augustus. New York: Harper & Row, 1970

Mâle, E. The Gothic Image. New York: Harper & Row, 1973. McKechnie, W.S. Magna Carta. New York, Franklin, 1958.

تقرير كامل وشامل للغاية عن الميثاق الأعظم، ولكنه غير عصرى إلى حد ما.

Moonan, J.T. The Scholastic Analysis of Usury. Cambridge, Mass. Harvard University Press, 1957.

كتاب هام يتناول بالمناقشة التحليل المدرسى وأساليبه.

Painter, S. The Reign of King John. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1941.

كتاب فى التاريخ السياسى من الدرجة الأولى.

Panofsky, E. Gothic Architecture and Scholasticism. New York: World Publishing, 1967.

استكشاف داخلى لتأثيرات العادات المدرسية العقلية على فن البناء. وهو كتاب مثير للجدل.

Powicke, F.M. Henry II and the Lord Edward. Oxford: Clarendon Press, 1950.

———, The Thirteenth Century. Oxford: Clarendon Press, 1962. Rashdall,

H. universities in the Middle Ages. E. Emden and F.M. Powicke, eds. Oxford: Oxford University Press, 1936.

دراسة مضنية عن الجامعات والحياة الجامعية فى العصور الوسطى.

Sarton, G. An Introduction to History of Sience. Baltimore: Williams and Williams, 1927.

Simson, O. von. The Gothic Cathedral New York: Pantheon, 1962.

Steenbergen F. von, Aristotle in the West. Louvain, Belgium: Nauewelaerts, 1955.

Strayer, J.R. The Albigensian Crusade. New York: Dial, 1971.

تاريخ ممتاز يطرح أفكارا حول السيادة الكنسية والوجه القبيح للاستعمار الكابى فى جنوب فرنسا، وهو كتاب صغير الحجم عظيم القيمة لواحد من أعظم المتخصصين الأمريكيين فى تاريخ العصور الوسطى.

Temko, A. Notre Dame of Paris. New York: Viking, 1955.
Thorndike, L. A History of Magic and Experimental Sience. New York: Macmillan, 1941.

Waddell, H. Wandering Scholars. Garden City, N. Y Doubleday, 1955.

ترجمات ممتازة لمؤلفات العلماء - الشعراء الراديكاليين الذين عرفوا باسم الجولياردين.

Young, K. The Drama of the Medieval Church, Oxford: Clarendon Press, 1967.

المصادر:

Lorris, Gillaum, and Meun Jean de. Roman de la Rose. S.G. Nichols, ed. New York: Appleton - Crofts, 1967.

الجزء الأول عبارة عن تلخيص للمثل والقيم السائدة فى البلاط؛ أما الجزء الثانى فكشف مثير عن تحلل الثقافة والمجتمع فى العصور الوسطى؛ وهو كتاب هام للغاية.

Pegis, A.C., ed. The Basic Writings of St. Thomas Aquinas. New York: Modern Library, 1945.

الجزء الثامن: الانهيار.

الفصل الواحد والعشرون: فشل الوفاق الجديد.

Boase, T.S.R. Boniface VIII. London: Constable and Co., 1933. Hilton, R. Bond Men Made Free. London: Smith, 1973.

تحليل ماركسى قيم لعصيان الفلاحين فى العصور الوسطى.

Leff, Gordon. Heresy in the Late Middle Ages. Manchester: University Press, 1967.

دراسة واعية لأسس التحليل والثورة.

Macfarlane, B. John Wycliff and the Begining of English non-Conformity. London: English Universities Press, 1952.

Mollat, G. The Popes of Avignon. Camden, N.J.: T. Nelson, 1963.

Perroy, E. The Hundred Years War. New York: Putnam, 1965.

دراسة تنجح فى رصد بعض مظاهر الفوضى والعنف التى سادت إبان حرب المائة عام.

Runciman, S. The Sicilian Vespers. Cambridge: Cambridge University Press, 1958.

مكتوب بطريقة جميلة.

Ullmann, W. The Origins of the Great Schism. Hamden, Conn: Anchon Books, 1967.

Wilkins, E.H. The Life of Petrarch. Chicago : Chicago University Press, 1961.

سيرة شاملة لأول العلماء الانسانيين.

المصادر:

Dante Alighieri. The Divine Comedy. D.L. Sayers, ed. 3 vols. Baltimore, Penguin, 1954.

تعتبر عادة أعظم المؤلفات الأدبية فى العصور الوسطى - وهو كتاب يجسد تراث العصور الوسطى الذى يتطلع صوب عصر جديد.

Froissart, The Chronicles of England, France, and Spain. G.W. Dunn, ed. New York: Dutton 1961.

Marsilius of Padua. Defender of the Peace. A. Gewirth, ed New York: Harper & 1964.

هجوم راديكالى جذرى على مزاعم وادعاءات الكنيسة فى العصور الوسطى؛ وهو تعبير عن النزعة العلمانية الجديدة.

Petrarch. Selected Sonnets, Odes, and Letters. F.G. Bergin, ed. Northbrook, Ill. : AHM Publishing Company, 1966.

الجزء التاسع: نهاية وبداية.

الفصل الثانى والعشرون: بين عالمين.

Baron, H. The Crisis of the Early Italian Renaissance. Princeton, N.J. Princeton University Press, 1966.

بحث دقيق فى القوى السياسية التى ولدت ازدهار فلورنسا.

Bloomfield, M. Piers Plowman as a Fourteenth Century Apocalypse. New Brunswick. N. J. Rutgers University Press, 1962.

كتاب رائد فى دراسة التيارات الدينية فى القرن الرابع.

Brucker, G. Renaissance Florence, New York; Wiley 1969.

تقرير ممتاز عن أحد مراكز النهضة الايطالية، قوى فى عرضه للسياسة والمجتمع.

Burckhardt J. The Civilization of the Renaissance in italy. New York: Wiley, 1969.

من أكبر مؤلفات القرن التاسع عشر، يرى أن النهضة جاءت بنظرة جديدة للانسان. ما يزال مثيرا للجدل.

Burke, P. Culture and Society in Renaissance Italy. New York: Scribner, 1972.

تفسير بنائى ذكى، أصيل، وفائق الأهمية.

Calmette, J. The Golden Age of Burgundy. New York Norton. 1963.

Chrimes, S. B Lancastrians, Yorkists, and Henry VII. New York; Macmillan, 1967.

Clagget, M. The Science of Mechanics in the Middle Ages. Madison: University of Wisconsin Press, 1961.

Du Boulay, F. An Age of Ambition. New York: Viking, 1970.

دراسة ممتازة مقنعة للمجتمع والثقافة والسياسة فى انجلترا فى أواخر العصور الوسطى. هام.

Ferguson, W.K. The Renaissance in Historical Thought, Boston: Houghton Mifflin, 1948

Hay, D. The Italian Renaissance in its Historical Background. New York: Cambridge University Press, 1961.

Huizinga, J. The Waning of the Middle Ages. Garden City. N.Y.: Doubleday, 1924.

عمل شامل يستكشف تغلغل النماذج القديمة من فكر العصور الوسطى وسلوكياتها فى القرن الخامس عشر. وهو يكشف بطريقة مؤثرة عن التدهور فى العصور الوسطى المتأخرة.

Lewis C.S. The Discarded Image. New York: Cambridge University pPress, 1968.

مناقشة ذكية للنماذج الفكرية، والرموز، والخيال فى أواخر العصور الوسطى.

McLuhan, M. The Gutenburg Galazy. New York: New American Library, 1969.

Meis, M. Painting in Florence and Siena After the Black Death. New York: Harper & Row, 1964.

Oberman, H. The Harves of Medieval Theology. Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1963.

أزمة الفكر فى العصور الوسطى المتأخرة.

Oman, G. The Great Revolt of 1381. Oxford: Clarendon Press, 1906.

Owst, G. Pulpit and Preaching in Medieval England. Cambridge: Cambridge University Press, 1926.

Robertson, D.W., Jr. A Preface to Chaucer, Princeton, N.J.: University Press, 1963.

كتاب هام للغاية، فهو دراسة أصيلة مقنعة لبناء الأدب فى العصور الوسطى المتأخرة.

Stadelmann, Rudolf. Vom Geist des Ausgebenden Mittelalters. Stuttgart Framman, 1966.

على الرغم من أنه كتب فى عشرينيات القرن العشرين، فإنه ما يزال هو الكتاب الكلاسيكى الذى يقوم بمسح شامل لأدب العصور الوسطى المتأخرة.

Tieény, B. Foundations of the Conciliar Movement, Cambridge: Cambridge University Press, 1955.

المصادر:

Baccacio, Giovanni. The Decameron. G.H. Mewilliam, trans. Baltimore: Penguin, 1972.

مثال على الروح العلمانية الايطالية.

Chaucer, Geoffrey. Chaucer Reader. C.W. Dunn, ed. New York: Harcourt Brace Jovanavich, 1952.

عموما يعتبر أعظم كتاب فى الشعر الانجليزى فى العصور الوسطى.

Thomas a Kempis. Imitation of Christ. L. Shirley-Price, trans. Baltimore: Penguin 1973.

Langland, William. Piers Plowman. Goodridge, J.F. Baltimore: Penguin 1966.

تعليق لاذع على المجتمع فى أخريات العصور الوسطى، هو صوت الرجل العادى. هام جدا.

كتب أخرى للمترجم

* أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى	دار المعارف	١٩٧٧
* النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك	دار المعارف	١٩٧٨
* أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك	القـاهرة	١٩٧٨
* الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث		
(بالاشتراك مع د. أحمد إبراهيم الهوارى)	دار المعارف	١٩٧٨
* المؤرخون فى العصور الوسطى		
(تأليف د. بيريل سمالى - مترجم عن الانجليزية)	دار المعارف	١٩٧٩
* دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى	دار المعارف	١٩٧٩
عصر سلاطين المماليك	الطبعة الثانية	١٩٨٥
* اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى		
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت		١٩٨٠
* عالم الصليبيين (تأليف يوشع براور ترجمة عن الانجليزية		
بالاشتراك مع د. محمد خليفة حسن)	دار المعارف	١٩٨٠
* التاريخ الوسيط - القسم الأول		
(تأيف نورمان كانتور ترجمة عن الانجليزية)	دار المعارف	١٩٨١
* البحرية الاسلامية فى شرق المتوسط	دار الوحدة بيروت	١٩٨٢
* الرؤية الحضارية للتاريخ عند العرب والمسلمين	دار المعارف	١٩٨٢
	الطبعة الثانية	١٩٨٥
* الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية	دار المعارف	١٩٨٣
* الحروب الصليبية - نصوص ووثائق	العربية للدراسات والنشر	١٩٨٥